

• ميزان القوى الناعمة: كيف يواجه المجتمع المدني نزعة السُّلطة إلى التغوُّل؟

• ضوابط فهم وتنزيل أشرطة الساعة على الواقع

• صنع القرار السياسي: خصوصيته وقيمه

• دور الحسبة في تعزيز القيم المجتمعية



مجلة فكرية دورية

«التطبيع»..

هل هو بوابة استقرار المنطقة؟

35

العدد الخامس والثلاثون

جمادى الأولى ١٤٤٧هـ - تشرين الأول / أكتوبر ٢٠٢٥م

هذه المجلة

- (رَواء) مجلة فكرية تُعنى بالإنتاج العلمي والدعوي والتربوي والاجتماعي، وتسعى أن تكون منارة في أرض الشام المباركة، تُشع بالعلم والمعرفة من خلال المجالات الآتية:
- الأصالة والانطلاق من ثوابت الدين والأمة، وتعزيزها في النفوس.
 - بث القيم الحضارية وروح النهضة في المجتمع.
 - تعزيز جانب الائتلاف وجمع الكلمة بين صفوف الأمة.
 - إثراء الساحة بمقالات متميزة تلامس الواقع، في قضايا المنهج والتجديد والإصلاح.

ترحب مجلة رَواء بمقالاتكم العلمية والفكرية ضمن المحاور الأساسية للمجلة

قراءات	تزكية	قضايا معاصرة	نظرات نقدية	دعوة	حضارة وفكر	تأصيل
قراءات في الكتب والرسائل العلمية ونقدها وإظهار محاسنها	في التربية والتزكية والأخلاق	مواد تتناول السياسة الشرعية ومالات الأمور، وتطبيقات المصالح والمفاسد على القضايا المستجدة	لتصحيح المفاهيم والتصورات	مواد تتناول فقه وأصول الدعوة، والأساليب والوسائل والتجارب الدعوية	مواد تتناول قضايا حضارية وفكرية	مواد تتناول تأصيل المنهج، وتقعيده ووضع ضوابطه وأساسه بصورة بنائية

ويشترط ألا يزيد حجم المادة المرسلة عن ٣٠٠٠ كلمة، وأن تكون المادة مكتوبة أصالة للمجلة وغير منشورة من قبل، وأن تراعى فيها سياسات النشر في المجلة

ترسل المقالات والمواد إلى البريد الإلكتروني:
rawaa@islamicsham.org

سياسات النشر في المجلة

١. تنشر المجلة المقالات التي تثري محاورها الأساسية.
٢. تلتزم المجلة سياسة التحرير الهادئة، وتجنب النقد الجارح وما يثير النزاعات والفتن.
٣. لا تنشر المجلة ما يجعلها طرفاً في صراعات دولية أو إقليمية أو محلية.
٤. يُحَكَّم المقالات الواردة للمجلة متخصصون في موضوعاتها.
٥. أن يكون البحث أصيلاً ومخصصاً للمجلة، ولم يُنشر في أي وسيلة نشر إلكترونية أو ورقية، ولم يُقدَّم إلى أي جهة أخرى للنشر.
٦. تنشر المقالات بالأسماء الصحيحة والصريحة لأصحابها.
٧. تلتزم المجلة بإخبار الكاتب بقرارها من النشر أو عدمه خلال شهر من استلام المقال.

فهرس الموضوعات

- ١ «التطبيع».. هل هو بوابة استقرار المنطقة؟ ٢
الافتتاحية
- ٢ ميزان القوى الناعمة: كيف يواجه المجتمع المدني نزعة السُّلطة إلى التَغَوُّل؟ ٩
أ. عامر المثقال
- ٣ ضوابط فهم وتنزيل أشراف الساعة على الواقع ١٦
د. جمال الفرا
- ٤ بين يدي عام دراسي جديد ٢٢
أ. أنس جمعة حشيشو
- ٥ صنع القرار السياسي: خصوصيته وقيمه ٢٥
د. مكارم بديع الفتحي
- ٦ دور الحسبة في تعزيز القيم المجتمعية ٣١
د. محمد ماهر محمد قدسي
- ٧ الشباب واضطراب الهوية الدينية في عصر الرقميات ٣٨
د. كريمة دوز
- ٨ كيف يصبح الحوارُ الأسلوبُ الأمثل لحل الخلافات الزوجية؟ ٤٥
أ. تسنيم عبد الرحمن النمر
- ٩ اعتبار الصناعة القيمية في التعليقات الفقهية ٥٢
أ. يوسف العزوزي
- ١٠ دور الأسرة في تربية الأطفال، ونموهم الاجتماعي والعاطفي ٥٨
د. مصطفى بوهبوه
- ١١ قراءة في كتاب: «زخرف القول: معالجة لأبرز المَقولات المؤسَّسة للانحراف الفكري المعاصر» ٦٤
د. عبد المجيد بدوي
- ١٢ وَتَعَاوَنُوا ٧٢
د. خير الله طالب



مجلة رَواء
دورية فكرية تصدر كل شهرين



أسرة التحرير

رئيس التحرير
د. عماد الدين خيتي

سكرتير التحرير
أ. محمود درمش

فريق التحرير
أ. جهاد خيتي
أ. عبد الملك الصالح
أ. أحمد خالد أحمد

تكتب جميع المراسلات باسم رئيس التحرير، وترسل إلى:

rawaa@islamicsham.org



www.rawaamagazine.com
www.islamicsham.org

«التطبيع».. هل هو بوابة استقرار المنطقة؟

مدخل:

ومنذ ذلك الحين بذلت تلك الدول جهودًا كبيرة لتثبيت الكيان الغاصب في المنطقة، والدفاع عنه، وإرغام شعوب المنطقة ودولها على تقبله والتعامل معه، وبعد محطات وجولات صرنا اليوم إلى مجموعة من الدول طُبعت علاقاتها مع الكيان الغاصب، وأخرى تدفع دفعًا نحو التطبيع، وثالثة تراوح بين شد وجذب.

التعامل مع العدو بين المحنة والابتلاء:

إنَّ التعامل مع العدو من أشدَّ المحن التي تواجه الدول والأفراد؛ فهو امتحان للإيمان والثبات، يكشف معادن النفوس وصدق ثباتها على المبادئ، وفيه يتساقط الكثيرون؛ إمَّا طمعًا في مكاسب زائلة، أو جبنًا من بطشه وسطوته، أو استسلامًا لقوته، أو خيانةً وعمالة.

خطت دول الاستعمار لترك مَنْ ينوب عنها في المنطقة تمزيقًا وتحريضًا وإضعافًا، فكان أن اتفقت الدول الاستعمارية -وفي مقدمتها بريطانيا- على إنشاء «وطن قومي لليهود» في فلسطين، رافق ذلك رغبة صهيونية في إنشاء مستعمرة تجمع شتاتهم في فلسطين، فالتقى مؤسس الحركة الصهيونية ثيودور هرتزل برئيس الوزراء البريطاني جوزيف تشمبرلين سنة ١٩٠٢م وقال له: «إنَّ قاعدتنا يجب أن تكون في فلسطين التي يمكن أن تكون (دولة حاضرة) بحيث تؤمِّن المصالح البريطانية»؛ فاتفقت الإرادتان على ذلك، وترجم الاتفاق عمليًا بإنشاء الكيان الغاصب المسمى «دولة إسرائيل»، والتي تعتمد في بقائها على دعم سياسي واقتصادي وعسكري غربي لا محدود.

لم ترفعهم همتهم ليكونوا من صفوف الأبطال الذين ضحوا بالغالي والنفيس في سبيل عز أمتهم وتحريرها من العدو المحتل.

ضوابط السلم مع العدو المحتل:

الأصل في الشريعة أن العلاقة مع العدو المحتل تقوم على جهاد الدفع والمقاومة؛ حماية للدين وتحريراً للبلاد ورداً للعدوان، ولا يجوز العدول عن هذا الواجب إلى أي شكل من أشكال السلم معه إلا بضوابط عديدة، من أهمها ما يأتي:

١. تعذر الجهاد والاضطرار للسلم، فإذا كان المسلمون في قوة وتمكين فالأصل في حقهم القتال والدفع، حتى ينكف شَرُّ الأعداء، قال تعالى: ﴿فَلَا تَهْوَوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ﴾ [محمد: ٣٥]، قال الحافظ ابن حجر: «ومعنى الشرط في الآية أن الأمر بالصلح مقيد بما إذا كان الأحظ للإسلام المصالحة، أما إذا كان الإسلام ظاهراً على الكفر ولم تظهر المصلحة في المصالحة فلا»^(١). وقال أبو بكر بن العربي: «فإذا كان المسلمون على عِزَّةٍ وقوةٍ ومنعةٍ، وجماعةٍ عديدةٍ، وشدةٍ شديدةٍ؛ فلا صلح»^(٢)، وهذا ما يوجب الإعداد دائماً، كما سيأتي.

٢. عدم التنازل عن ثوابت الدين وحقوق المسلمين، فيحرم التفريط في العقيدة، أو الاعتراف بما يبطل حقاً شرعياً ثابتاً للأمة، كالتنازل عن حقوق المسلمين وديارهم، وكذا الصلح الذي يُمكن العدو من استمرار الاحتلال؛ فهو يُعدّ استسلاماً باطلاً.

٣. تحقيق المصلحة الراجحة للمسلمين بأن يكون فيه منفعة ودفع ضرر أكبر، لا مجرد منفعة للسلطة وأفرادها، أو نوع خضوع واستسلام، فإذا زادت سيئات الصلح مع العدو على حسناته: بطل العقد؛ لأنه تفريط في حق المسلمين.

٤. تحديد المدة بوضوح: فلا يكون صلحاً مفتوحاً بلا قيد، بل يجب ضبطه بمدة معلومة أو اتفاق محدد، فإن اقتضت المصلحة جواز الهدنة كانت مؤقتة بمدة معلومة، أو مطلقة مع احتفاظ المسلمين بحق الفسخ عند الحاجة؛ لتبقى الأمة في حال من اليقظة والحذر؛ قال ابن قدامة في

والتعامل مع العدو ليس شأنًا سياسيًا فقط، بل له ارتباط وثيق بالدين والثقافة والحياة الاجتماعية والاقتصادية، وهو محنة إيمانية وابتلاء شرعي، يتميز فيه أهل الوفاء عن أهل النفاق، ومن واجب الأمة -شعوباً وحكاماً- أن تضبط علاقتها بالعدو وفق منهج الشرع، وألا تنخدع بالإغراءات أو تنكسر أمام التهديدات؛ حتى تحافظ على هويتها وعزتها واستقلالها.

وأخطر ما يكون الابتلاء بالعدو حين يتعلق بالحكام؛ إذ قد يدفعهم الطمع في الحفاظ على المنصب والمكانة أو السعي إلى «الشرعية السياسية» إلى عقد اتفاقات تفرط بحقوق الأمة، أو تتجاوز حدود الشرع. وقد عرف التاريخ حكماً تلطخت أيديهم بالخيانة والعمالة، كبعض الدويلات التي عاصرت الحملات الصليبية زمن الدولة العباسية، وبعض ملوك الطوائف في الأندلس، وعدد من الحكام المعاصرين الذين ارتموا في أحضان قوى الاستعمار، حتى صاروا أداة لتنفيذ سياسات الأعداء في بلادهم، مقابل بقائهم على كراسيهم.

التعامل مع العدو ليس شأنًا سياسيًا فقط، بل له ارتباط وثيق بالدين والثقافة والحياة الاجتماعية والاقتصادية، وهو محنة إيمانية وابتلاء شرعي، يتميز فيه أهل الوفاء عن أهل النفاق، ومن واجب الأمة -شعوباً وحكاماً- أن تضبط علاقتها بالعدو وفق منهج الشرع، وألا تنخدع بالإغراءات أو تنكسر أمام التهديدات؛ حتى تحافظ على هويتها وعزتها واستقلالها

وفي المقابل خلّد التاريخ أسماء حكام بصفحات مشرقة في الثبات أمام العدو، رفضوا التنازل عن ثوابت المسلمين رغم الإغراءات والضغط، والتحموا مع شعوبهم، وقدموا مصلحة أمتهم؛ فكتب الله على أيديهم الانتصار، كآلب أرسلان، ونور الدين زنكي، وصلاح الدين الأيوبي، والمظفر قطز، والمعتمد بن عباد، وعبد الكريم الخطابي، وغيرهم كثير، وبين هؤلاء وهؤلاء فريق ثالث لم ينزلوا إلى مستوى الخنوع والعمالة والاستسلام، وفي الوقت نفسه

(١) فتح الباري (٢٧٦/٦).

(٢) تفسير القرطبي (٤٠/٨).

المدنيين، دون أن تعني نهاية النزاع أو تسوية أسبابه.

وتتركز الهدنة في الجانب العسكري، ولا تتناول القضايا السياسية أو الاقتصادية أو الفكرية؛ لذلك لا تؤثر عادةً على العلاقات بين الشعوب، ولا تعني الاعتراف بشرعية الطرف الآخر.

ومن أمثلة الهدن مع الكيان:

« هدنة عام ١٩٤٩م بين الكيان والدول العربية: مصر، والأردن، ولبنان، وسوريا.

« اتفاق فك الاشتباك بين الكيان وسوريا عام ١٩٧٤م الذي نصّ على استمرار وقف إطلاق النار القائم، وفصل الأطراف المتحاربة بواسطة قوات حفظ السلام التابعة للأمم المتحدة.

أما اتفاقية السلام: فتطلق على اتفاق بين دولتين أو أطراف متصارعة لإنهاء حالة الحرب أو الصراع بشكل دائم، مع معالجة القضايا الأساسية -كالحدود والسيادة- ضمن إطار للتعاون المستقبلي أو حل الخلافات سلمياً بشكل شامل يغطي القضايا السياسية والاقتصادية والعسكرية والاجتماعية.

وتستلزم هذه الاتفاقية اعترافاً متبادلاً بالسيادة، وتفضي عادةً إلى تغيير تدريجي في نظرة كل طرف للآخر، غير أنها تحتاج زمناً لبناء الثقة تكون مصحوبة عادة بمبادرات للتقارب الثقافي أو الاقتصادي، ويطلق عليها كذلك (مصالحة).

ومن أمثلتها مع الكيان: اتفاقية السلام بين مصر وإسرائيل ١٩٧٩م.

والتطبيع: هو استئناف العلاقات الرسمية والشعبية بين دولتين (أو كيانين) بعد قطيعة أو عدا، عبر اعتراف رسمي، وتبادل للتمثيل الدبلوماسي (كفتح السفارات والممثليات)، وفتح قنوات التعاون السياسي والاقتصادي والثقافي؛ بهدف إعادة العلاقة إلى مستوى التعامل الاعتيادي، وإن لم يقتض ذلك حلاً نهائياً للنزاع القائم.

والتطبيع في السياق العربي يشير إلى الاعتراف بالكيان الإسرائيلي، وإقامة علاقات دبلوماسية وتجارية وثقافية معه، بعد أن كان يُعتبر عدواً محتلاً.

المغني: «لا تجوز المهادنة مطلقاً من غير تقدير مدة»، وقال أيضاً: «ولا يجوز عقد الهدنة إلا على مدة مقدرة معلومة»^(١)، وجوز بعضهم الهدنة المطلقة والمؤقتة بحسب المصلحة والحاجة، مع منع التأبيد اتفاقاً. واستدلوا بأن صلح الحديبية كان محدّد الأجل، وبأن ترك المدة يورث الغرر.

٥. أن يكون صادراً عن شورى حقيقية، يُقرها أهل الخبرة والعلم، لا من قرارات فردية أو ضغوط آنية، مع الاستئناس برأي الأمة عامة لإدراك توجهاتها وتوحيد صفها وتعزيزاً لثقتها بقيادتها. وإذا كان الله أمر نبيه محمداً المؤيد بالوحي بمشاورة أصحابه فقال: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾ [آل عمران: ١٥٩]، فغيره من باب أولى، فإن ملاقة العقول وأخذ آراء الرجال لهما أثر محمود في الوصول إلى أصح الآراء، وأنسب الاختيارات بإذن الله عز وجل، وأدعى للتخلص من حظوظ النفوس، ولذا كان مما أثنى الله به على المسلمين أن قال: ﴿وَأْمُرْهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾ [الشورى: ٣٨].

الأصل في الشريعة أن العلاقة مع العدو المحتل تقوم على جهاد الدفع والمقاومة؛ حماية للدين وتحريراً للبلاد ورداً للعدوان، ولا يجوز العدول عن هذا الواجب إلى أي شكل من أشكال السلم معه إلا بضوابط شرعية عديدة، بينها أهل العلم

المفاهيم السياسية المرتبطة بوقف الحرب مع الكيان الصهيوني:

يشيع في عالم السياسة والفكر مصطلحات عدة للحديث عن وقف الحرب بين الأطراف، ومما يخص العلاقة بالكيان الصهيوني فهناك مصطلحات رئيسة: الهدنة، والسلام، والتطبيع، ولكل منها معنى ودلالات مختلفة، سواء من الناحية القانونية، أو السياسية، أو العملية:

فالهدنة: اتفاق مؤقت بين طرفي نزاع مسلح لوقف الأعمال القتالية لفترة محددة أو غير محددة. وهدفها: تهدئة القتال، وتقليل الخسائر البشرية، وتوفير وقت لتقديم المساعدات الإنسانية أو إجلاء

(١) المغني (١٥٤/١٣)، و(١٥٥/١٣).

على الجوانب العسكرية أو السياسية، بل يمتدّ إلى إحداث تغييرات عميقة في الفكر والمجتمع، وإعادة تشكيل العلاقة مع العدو على أسس مخالفة لأصول الشريعة.

« أما الاتفاقيات «الإبراهيمية»: فهي تجمع إلى مفسد التطبيع مفسد أخرى تتمثل في التشويه الديني والفكري والاجتماعي، عبر خلط مقصود يقدّم فيه اليهود وأعوانهم في صورة قوم أبرياء لا خلاف بيننا وبينهم سوى في النبي الذي نتبعه! لذا فحكمها أشدّ تحريماً وجرمًا من اتفاقيات السلام والتطبيع^(١).

اتفاقيات «السلام» و«التطبيع» ليست من الهدن المشروعة؛ لأنّ جوهرها لا يقتصر على الجوانب العسكرية أو السياسية، بل يمتدّ إلى إحداث تغييرات عميقة في الفكر والمجتمع، وإعادة تشكيل العلاقة مع العدو على أسس مخالفة لأصول الشريعة

يسمونها بغير اسمها:

مما درجت عليه الأنظمة المطبّعة مع الكيان الصهيوني إنكار عقد اتفاقيات «تطبيع»، أو نفي أن تكون ضمن مظلة «إبراهيمية»، أو الادعاء أن الاتفاقيات المبرمة خالية من المخالفات الشرعية، وزعم أنها مجرد اتفاقيات أو هدن سلام، غير أنّ هذا التلبيس لا يغير من حقيقتها شيئاً؛ فالقاعدة الفقهية تقول: «العبرة في العقود بالمقاصد والمعاني، لا بالألفاظ والمباني»، أي أنّ الحكم الشرعي يدور مع حقيقة العقد ومراد المتعاقدين وآثاره العملية، لا مع الاسم الذي ألصق به ولا مع زخرفة الصياغة؛ فالمعيار هو الجوهر لا الشكل، يدلّ على ذلك قوله ﷺ: (ليُشربن ناسٌ من أمتي الخمر يسمونها بغير اسمها)^(٢)، قال ابن القيم: «باب الحيل المحرمة مداره على تسمية الشيء بغير اسمه، على تغيير صورته مع بقاء حقيقته، فمداره على تغيير الاسم مع بقاء المسمّى، وتغيير الصورة مع بقاء الحقيقة»^(٣).

ومن دلائل بطلان الادعاءات المصاحبة لهذه الاتفاقيات: ما كشفه خططُ الدول الغربية الراعية

ومما يلحق بالتطبيع مع العدو الصهيوني: ما يطلق عليه بالاتفاقيات «الإبراهيمية»، وهي سلسلة من الاتفاقيات قادتها الولايات المتحدة، تهدف إلى ما هو أبعد من مجرد تطبيع العلاقات بين إسرائيل وعدد من الدول العربية؛ إذ تسعى إلى توسيع مجالات التعاون السياسي والاقتصادي والثقافي والأمني. وسُمّيت «الإبراهيمية» لمنحها وصفاً دينياً (باعتبار أنّ إبراهيم عليه السلام يُعتبر رمزاً مشتركاً في الأديان الثلاثة: الإسلام والمسيحية واليهودية!)؛ بغية إضفاء شرعية ناعمة على مشروع التطبيع والاندماج الإقليمي، مع توظيف خطاب «الأديان المشتركة» لتبرير تعاون استراتيجي يتجاوز جوهر الصراع القائم.

فهي ليست مجرد «تطبيع»، بل مشروع واسع يشمل التعاون في مجالات التكنولوجيا والسياحة والطاقة والتجارة والدفاع، ويتخذ بعداً أيديولوجياً بمحاولة إضفاء شرعية دينية وتاريخية عليه، وهو في حقيقته تحالف إستراتيجي يخدم مصالح إسرائيل والغرب، ويهدف إلى تهميش القضية الفلسطينية بجعلها شأنًا ثانوياً؛ من غير أن يتضمن أيّ التزام بوقف الإجرام الإسرائيلي أو تحقيق العدالة للفلسطينيين.

ينبغي أن يكون قرار أي اتفاقية تعقد مع العدو صادراً عن شورى حقيقية، يُقرها أهل الخبرة والعلم، لا بقرارات فردية أو ضغوط أنية، مع الاستئناس برأي الأمة عامة لإدراك توجهاتها وتوحيد صفّها وتعزيزاً لثقتها بقيادتها

أحكام هذه الاتفاقيات ومآلاتها:

« فاتفاقيات الهدنة: جائزة بالشروط السابق ذكرها؛ إذ إنها تنصبّ على الجوانب العسكرية، دون الدخول في محظورات الجوانب السياسية والفكرية والشعبية، ولا تهدف إلى تغيير طبيعة العلاقة بين الجانبين.

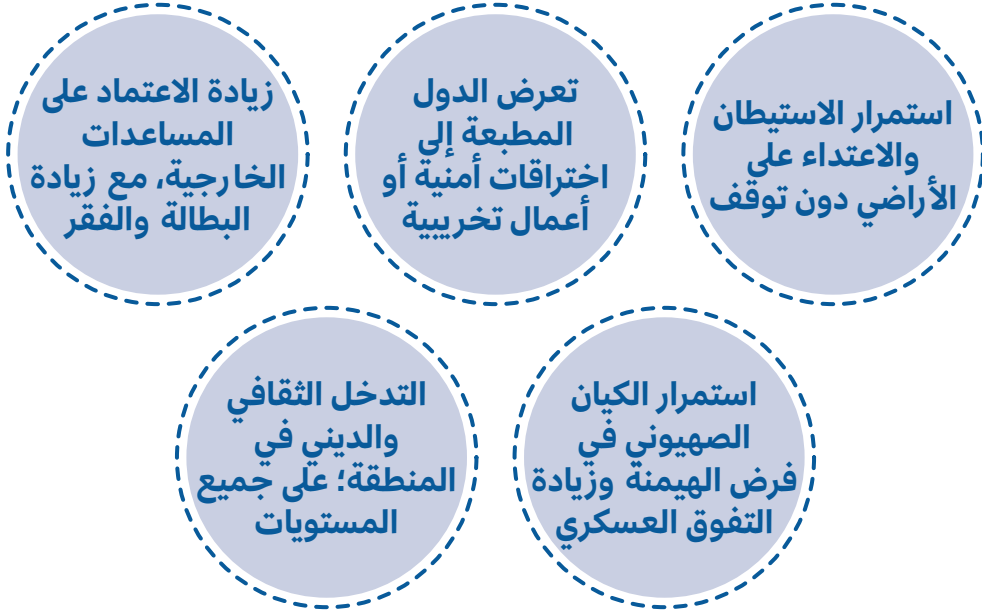
« أما اتفاقيات السلام والتطبيع: فهي ليست من الهدن المشروعة؛ لأنّ جوهرها لا يقتصر

(١) خصصنا افتتاحية العدد (٥) من المجلة للحديث عن «الإبراهيمية» بتوسع، فيمكن الرجوع إليها لمزيد من التفاصيل.

(٢) أخرجه أبو داود (٣٦٨٨).

(٣) إغائة اللهفان (٣٥٠/١).

أهم النتائج السلبية لاتفاقات التطبيع في المنطقة



محتلاً، ودمجها في الإقليم دولة دائمة لها حق الوجود، تحت خطاب ديني ناعم يتجاوز جوهر القضية الفلسطينية؛ فإن الإسلام يأمر بإعداد العدة ويعتبرها فريضة دائمة في السلم والحرب، ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ [الأنفال: ٦٠].

إن جوهر القوة هو الردع المؤثر (ألا إن القوة الرمي)^(١)، مع اليقظة الدائمة حتى في أضيق الأحوال: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُمْ مَيْلَةً وَاحِدَةً﴾ [النساء: ١٠٢].

وعليه فالمطلوب:

« إعداد شامل عسكرياً واقتصادياً ومعنوياً يثبت ميزان القوة ويمنع تحويل «التطبيع» إلى غطاء لاحتلال دائم.

« سياسة مشروطة عليا تربط أي علاقات ثنائية بوقف الاحتلال ومنع الاستيطان، وحماية المدنيين، ومنح حق العودة للاجئين، وغيرها من الحقوق الأصلية والمسلوبة.

لها من مضامين واضحة؛ كالاعتراف بالقدس عاصمة لـ«إسرائيل»، والاعتراف بالمستوطنات أرضاً يهودية، وإقرار سيادة «إسرائيل» على الأراضي المحتلة في فلسطين وسوريا (الجلولان)؛ فهذه الأهداف تظهر أن ما يسمى «اتفاقيات السلام» أو «الاتفاقيات الإبراهيمية» لا ينطبق عليها وصف الهدنة المشروعة بأي حال من الأحوال^(١).

السلام لا يُطلب بترك أسباب القوة ولا بالتنازل عن الحقوق، بل ببناء الردع القائم على أسباب القوة المجتمعية أولاً، والمادية والسياسية ثانياً، وربط أي انفتاح سياسي باستيفاء شروط العدالة

وخذا جذركم:

السلام لا يُطلب بترك أسباب القوة ولا بالتنازل عن الحقوق، بل ببناء الردع القائم على أسباب القوة المجتمعية أولاً، والمادية والسياسية ثانياً، وربط أي انفتاح سياسي باستيفاء شروط العدالة.

فبينما تمثل «الإبراهيمية» مساراً تطبيعياً يُراد به التوقف عن معاداة «إسرائيل» واعتبارها عدواً

(١) يمكن الرجوع لأصول هذه الوثائق وتفصيلاتها من أرشيف البيت الأبيض ووزارة الخارجية الأمريكية على سبيل المثال.

(٢) أخرجه مسلم (١٩١٧).

والاعتداء لا يتوقف، والاستيطان ينمو ويتجذر يوماً بعد يوم.

٢. تعرضت جميع الدول الموقعة على اتفاقيات السلام أو التطبيع مع الكيان الصهيوني إلى اختراقات أمنية سواء بالتجسس، أو الاعتداء العسكري المباشر، أو القيام بعمليات تخريبية تستهدف قطاعات مختلفة في تلك الدول؛ مما يكشف زيف ادعاءات السلام، وهشاشة هذه الاتفاقيات، وأنها تحقق مصالح جهة واحدة فحسب.

٣. على الرغم من المساعدات الأمريكية التي تقدم للدول الموقعة على هذه الاتفاقيات فإن هذه الدول لم تحقق نمواً مستداماً، بل زاد اعتمادها على المساعدات الخارجية، مع زيادة البطالة والفقر، خصوصاً عند ملاحظة أن تقديم هذه المساعدات رافقه توقف صادرات استراتيجية لدى الدول الموقعة.

٤. استمر الكيان الصهيوني ومن خلفه الدول الداعمة له في فرض الهيمنة العسكرية من خلال القيام بعمليات في الدول المختلفة للقضاء على كل ما يشكل تهديداً لتفوق الكيان علمياً أو عسكرياً، إضافة إلى زيادة مطردة في عمليات التصنيع والدعم العسكري.

٥. التدخل الثقافي والديني في المنطقة؛ فجميع الدول التي شهدت اتفاقيات السلام أو التطبيع أدخلت تعديلات في المناهج الدراسية، وفي السياسات الإعلامية، وأصبح التعايش مع المحتل وثقافته جزءاً حاضراً في الفعاليات الثقافية والفنية والاجتماعية، وما كان ممنوعاً بالأمس صار مسموحاً اليوم، دون ثمن واضح ملموس.

ضوابط لاتفاقية «سلام» محتملة بين سوريا والكيان:

لا شك أن سوريا اليوم بعد تحريرها من النظام البائد ليست في أفضل حالاتها بعد التدمير المنهج الذي قام به، والحرب المدمرة التي قادها ضد الشعب والدولة، وما تزال هناك شخصيات ومناطق خارج سلطة الدولة بل متمردة عليها.

ومع هذا الواقع تتزايد الضغوط الدولية لدفع السلطة نحو عقد اتفاقيات سلام مع الكيان

«الامتناع الصارم عن الاعتراف أو المعاونة في أوضاع غير مشروعة.

بهذا يتكامل الواجب الشرعي مع الرؤية السياسية: سلام قائم على الردع والعدل، لا على الوهم والتسويق الرمزي؛ فإن قصر العدو عن استحقاقات العدل، بقي الإعداء والليقظة أصلاً حاكماً، والحدز الحدز من وعود لو أمكنهم تحقيقها بالقوة لما عرضوها باللطف.

ومما يؤكد هذا: أن آية الجنوح للسلم قد وردت بين آية تأمر بالأخذ بأسباب القوة لإرهاب العدو وإخافته والاستعداد لقتاله في كل وقت، وآية تحذر من خداع العدو ومكره بادعاء الصلح وترك القتال: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾ وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلَامِ فَاجْتَنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٦١﴾ وَإِنْ يُرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ هُوَ الَّذِي آتَاكَ بِنُصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنفال: ٦٠-٦٢].

وهذا يدل على أهمية الحدز والتيقظ في كل حين، وعدم الميل إلى الراحة والدعة وترك الاستعداد بجميع أنواع القوة وعلى رأسها القوة العسكرية.

أوهام «السلام»:

هناك ترويج شائع في الأوساط السياسية والإعلامية بأن اتفاقيات «السلام» مع الكيان الصهيوني ستؤدي إلى إنهاء الحرب، والسلام والتعارف بين الشعوب، ومزيد من الاستقرار السياسي والحماية الأمنية، والانتعاش الاقتصادي في المنطقة ولدى الدول الموقعة عليه خاصة. لكن بنظرة فاحصة إلى حصاد السلام والتطبيع نجد أنها لم تكن سوى أوهام وخداع، تهدف إلى القفز فوق القضايا المختلفة إلى الاعتراف بالكيان وحقه في البقاء في المناطق التي احتلها، وإمداده بأسباب الحياة والتغلغل في المجتمعات الإسلامية لإفسادها وتفكيكها؛ مما أدى إلى نتائج سلبية طويلة الأمد، وقد تمثلت هذه السلبية في التالي:

١. لم تؤد كل هذه الاتفاقيات مع طول زمنها وتعدد مساراتها إلى حل القضية الفلسطينية من الأساس، أو توقف الاعتداءات على الأراضي الفلسطينية، أو توقف الاستيطان، كما يزعمون عند الترويج لها، بل لا يزال المحتل جاثماً،

”
الوعي الإسلامي اليوم في أفضل صورهِ،
وتجاربُ النهوض والتحرر قد بلغت قدرًا
متقدّمًا من النضج، وصار بين يدينا من
الحوافز والمكتسبات والنجاحات ما يمكن
البناء عليه لأيّ مستقبل زاهر، وفي المقابل،
فقد ظهر من مساوئ التصالح والتطبيع
مع الكيان الصهيوني وما جرّه من تحكّم
وإذلال وتشويه وتخريب ما هو جدير
بالتنفيذ منه لا التّغيب فيه، ويجعلنا
نضع دون حدوثه العقبات والعراقيل

وفي الختام:

وبعد هذه الجولة الموجزة في أهمية المنطقة والأهداف الاستعمارية التي حققها المستعمر بزرع الكيان الصهيوني في خاضعتها، وما ترتّب على وجوده من حروب ومأس ومخاطر، إلى جانب الأحكام الفقهية المتعلقة بالتصالح معه؛ لا بدّ من التذكير بأنّ حالتنا المعاصرة اليوم قد لا تنطبق عليها شروط الأحكام الفقهية التي قررها فقهاء الشريعة في أزمنة مضت.

فالموضع اليوم: بلادٌ مسلمة مفككة ضعيفة يوجد بينها من الفتن والمشكلات ما يعيقها جميعًا عن التقوي والنهوض، وخلفها نظام عالمي ظالم يحمي حقوق الدول القوية على حساب الدول الضعيفة، ولا يعترف إلا بالأقوياء، تحارب فيه الدول القوية أيّ رغبة من الدول الضعيفة في الاستقلال أو النهوض أو التحرر من التبعية.

ومع ذلك فإنّ الوعي الإسلامي في أفضل صورهِ، وتجاربُ النهوض والتحرر قد بلغت قدرًا متقدّمًا من النضج، وصار بين يدينا من الحوافز والمكتسبات والنجاحات ما يمكن البناء عليه لأيّ تخطيط مستقبلي زاهر.

وفي المقابل، فقد ظهر من مساوئ التصالح والتطبيع مع الكيان الصهيوني وما جرّه من تحكّم وإذلال وتشويه وتخريب ما هو جدير بالتنفيذ منه لا التّغيب فيه، ويجعلنا نضع دون حدوثه العقبات والعراقيل، وما وضع السودان بعد التطبيع عنا ببعيد^(٢).

الصهيوني، تحت ذرائع الاستقرار الإقليمي وإعادة الإعمار. فهل يعني ذلك أنّ الدولة السورية ضعيفة إلى الحدّ الذي يجعلها خاضعة لتلك الإملاءات؟

إنّ أي سلطة مهما ضعفت فإنّ لديها طرقًا عديدة لتقوية موقفها^(١)، وفيما يخص الوضع في سوريا فإنّ مما يمكن أن يذكر هنا:

١. تقوية الجبهة الداخلية؛ بالاعتماد على المجتمع وكسب شرعيته من خلال عقد شراكة حقيقية بينه وبين السلطة في مجالات السلطة والقرار؛ مما يوحد الصفّ الوطني ويدعم موقف السلطة في مواجهة الضغوط الخارجية.

٢. عقد التحالفات الإقليمية وبناء التكتلات الدفاعية الدولية؛ بهدف تقوية جوانب الضعف الموجودة حاليًا، ويمنح الدولة السورية عمقًا استراتيجيًا يحول دون عزلها أو ابتزازها.

٣. العمل على تقوية الجيش والشروع في بناء قوة ردع كافية، وترميم مؤسسات الدولة؛ بهدف زيادة قدراتها التفاوضية.

٤. العمل على تحقيق اقتصاد مستقل وقوي غير مرتهن بالخارج، وغير خاضع لصندوق النقد الدولي وقروضه المقيدة والمكبلة.

٥. إشراك الخبراء ومؤسسات المجتمع المدني في جميع القرارات المتعلقة بالموضوع، وصولًا إلى الاستفتاء الشعبي قبل توقيع أي اتفاقية مع المحتل.

٦. التمسك بالثوابت والحقوق القطعية، وعدم التنازل عن أيّ منها؛ فالجولان أرض محتلة، لا شرعية لضمّها للكيان الصهيوني ولا مبرر للتفريط بالسيادة عليها أو بأيّ من مواردها.

٧. توقيت أي هدنة وضبطها: فإنّ لزم عقد اتفاق أو هدنة فتكون محددة المدة، مقيدة بشروط واضحة و ضمانات، لا مطلقة ولا مؤبّدة.

٨. الاعتماد على مرجعيات قانونية دولية صلبة، وفي مقدمتها المبادئ الدولية التي تحرّم العدوان واغتصاب الأرض، وتؤكد بطلان كلّ ضمّ أو احتلال بالقوة.

(١) ومن أقرب الأمثلة المعاصرة طالبان وحماس.

(٢) تعداد المراجع الشرعية والسياسية والقانونية لما سبق يخرج عن مقصد الافتتاحية لطوله وكثرته، ويمكن للراغب بالبحث عنها فهي مشهورة منتشرة.

ميزان القوى الناعمة: كيف يواجه المجتمع المدني نزعة السُّلطة إلى التَّغَوُّل؟

أ. عامر المثلثال^(*)

بين نزوع السلطة إلى التمدّد والسيطرة، وحاجة المجتمع إلى قوة تصون حقوقه، يأتي دور المجتمع المدني كقوة ناعمة تقوم بهذا الدور. يستعرض المقال نماذج من تونس وجنوب إفريقيا، ويتوقف عند التجربة السورية بعد الثورة، ليكشف كيف تحوّل العمل المدني من هامشٍ مقموع إلى طاقة فاعلة، ويخلص إلى أن المجتمعات القوية هي التي تمتلك مؤسسات مستقلة قادرة على المساواة والمشاركة.

تمهيد:

فما هو المجتمع المدني؟ كيف يمكن أن يُفهم في سياقنا العربي والإسلامي؟ هل هو عنصر وافد من تجارب الغرب؟ أم إنه متجذر في تاريخنا وتجاربنا الاجتماعية؟

المجتمع المدني - تعريف:

لم يستقر الباحثون على تعريف موحد؛ إذ إن طبيعة كل مجتمع وخلفياته التاريخية والسياسية جعلت زاوية النظر إلى المفهوم تختلف من بلدٍ إلى آخر، ومن هنا كثرت الاجتهادات النظرية في تحديد حدوده ومجالاته، غير أن المشترك بينها جميعاً يمكن القول إنه يتمثل في النظر إلى المجتمع المدني

لا تكاد تتوقف النقاشات حول شكل العلاقة الأنجع بين السلطة والمجتمع؛ ففي حين تميل أي سلطة تقريباً بطبيعتها إلى التوسع والسيطرة، يسعى المجتمع إلى ضمان مصالحه المتنوعة وصون حقوقه الأساسية، ومن هنا برزت الحاجة إلى قوى وسيطة تُنظم المجال العام وتمنع اختزال الدولة في جهاز حاكم متفرد بالقرار، ولذلك ظهر مفهوم المجتمع المدني باعتباره إطاراً جامعاً للمؤسسات وتنظيمات مستقلة تعكس تنوع المجتمع وتُعبّر عن مصالحه وتفتح المجال أمام مشاركته المنظمة في الشأن العام.

(*) باحث مساعد في مركز الحوار السوري.

فالمجتمع المدني عبر نقاباته واتحاداته ومنظماته الحقوقية والثقافية يُشكّل ما يمكن اعتباره شبكة مقاومة سلمية تحول دون اختزال الدولة في جهاز حاكم متفرد بالقرار.

وتتجلى أهمية هذا الدور في المجال الرقابي والحقوقى؛ إذ توفر مؤسسات المجتمع المدني في البيئات الطبيعية آليات لمساءلة السلطة وكشف تجاوزاتها، كما تُسهم في ترسيخ قيم الشفافية والعدل والمحاسبة، فحين يتعرض المواطن لانتهاك أو ظلم يجد في هذه المؤسسات صوتاً يُعبّر عنه، وفي كثير من الأحيان تفرض هذه المؤسسات على السلطة التراجع أو التعديل؛ إما عبر الضغط الإعلامي أو الحشد الشعبي أو عبر القنوات القانونية، وهذه القدرة على ضبط سلوك السلطة لا تقل أهمية عن دور السلطات الرسمية كالبرلمان أو القضاء؛ لأنها تتبع من المجتمع نفسه.

يبرز المجتمع المدني عادةً باعتباره قوة مضادة ناعمة لا تملك سلطة قهرية لكنها قادرة على ممارسة ضغط مستمر يُذكر السلطة بحدودها، فالمجتمع المدني عبر نقاباته واتحاداته ومنظماته الحقوقية والثقافية يُشكّل ما يمكن اعتباره شبكة مقاومة سلمية تحول دون اختزال الدولة في جهاز حاكم متفرد بالقرار

ولا يعني هذا أن وظيفة المجتمع المدني تنحصر في مواجهة التجاوزات، بل تمتد إلى بناء قنوات المشاركة وتنظيم مصالح المجتمع بشكل مؤسسي، فعندما يجد المواطن نفسه قادراً على التعبير عن مطالبه والدفاع عن حقوقه عبر جمعيات مستقلة أو منظمات حقوقية أو هيئات ثقافية يقل شعوره بالاغتراب عن الدولة، وتتحوّل العلاقة مع السلطة إلى شراكة بدلاً من خصومة، وبذلك يصبح المجتمع المدني صمام أمان يحمي الدولة من السقوط في فخ التسلط، ويحمي المجتمع من التهميش والتفكك، ويؤسس لثقافة سياسية تقوم على التوازن والتفاعل الإيجابي.

باعتباره شبكة واسعة من الكيانات والفضاءات التي لا تنتمي مباشرة إلى أجهزة الدولة ولا تهدف إلى الربح، وتشمل الجمعيات الأهلية والخيرية، والاتحادات والنقابات المهنية، والروابط الثقافية والاجتماعية، إضافة إلى المنظمات غير الحكومية، والحركات التطوعية^(١).

ويرى آخرون أن التباين في تحديد ماهية المجتمع المدني وفاعليته يرتبط في جزء كبير منه بالعمليات الأيديولوجية والطبقية لأصحاب الرؤى، وكذلك بدرجة تقبلهم لوجود قوة مجتمعية قادرة على التأثير في المجال العام، أو بتقديرهم لطبيعة العلاقة المفترضة بين المجتمع والدولة^(٢).

لكن هذا الدور لتنظيمات ومؤسسات المجتمع المدني ليس بالضرورة أن يكون إيجابياً أو نزيهاً دائماً؛ إذ شهدت بعض الدول العربية والإسلامية حضور منظمات تتغطى برداء «المجتمع المدني» بينما تروّج لمشاريع أيديولوجية أو قيم مستوردة تسعى لتفكيك المجتمع وثقافته المحافظة، مثل الدفع باتجاه التطبيع مع المثلية الجنسية أو تبني رؤى علمانية، أو التأثير بالتمويل الخارجي الذي يوجّه الكيانات لخدمة مصالحه وليس بالضرورة لخدمة المجتمع^(٣)، وهذا ما يُثير جدلاً حول حدود المجتمع المدني، وأهمية التمييز بين ما يخدم المصلحة العامة حقاً وما يتعارض مع الهوية الجامعة أو يتحول إلى أداة نفوذ خارجي.

انطلاقاً من هذه الإشكاليات يسعى المقال إلى إبراز الدور الذي يمكن أن يؤديه المجتمع المدني كحاجز يحول دون تغوّل السلطة، ويؤلي اهتماماً خاصاً بالحالة السورية عبر ثلاث مراحل أساسية: ما قبل وصول حزب البعث إلى السلطة، ثم مرحلة حكم الأسد الأب والابن، وأخيراً مرحلة ما بعد عام ٢٠١١م التي شهدت انطلاق الثورة وما تبعها من تحولات.

المجتمع المدني وحماية المجال العام.. دروس من تجربتي تونس وجنوب إفريقيا:

يبرز المجتمع المدني عادةً باعتباره قوة مضادة ناعمة لا تملك سلطة قهرية لكنها قادرة على ممارسة ضغط مستمر يُذكر السلطة بحدودها،

(١) للتوسع ينظر: دور المجتمع المدني في مواجهة تغوّل الرأسمالية، مجلة المجتمع.

(٢) للتوسع ينظر: مفهوم المجتمع المدني بين التأصيل النظري ومشكلة المرجعية، كلثوم زعطوط، رسالة دكتوراه، مجلة الباحث في العلوم الإنسانية والاجتماعية.

(٣) من الغيبوبة إلى المارتون.. تجربة العمل الجمعي في الكيانات والتجمعات السورية، لكندة حواصلي، ص (١١٥).

تُعَدُّ جنوب أفريقيا مثالاً متكرراً
الاستدعاء في الأدبيات؛ لأنها أظهرت كيف
يمكن للمجتمع المدني أن يتحول من قوة
احتجاجية ضد الاستبداد إلى شريك فاعل
في صياغة الانتقال السياسي والتشاركية،
ثم إلى رقيب مستمر يحمي المجال العام
من عودة السلطة إلى ممارساتها القمعية

أما في جنوب أفريقيا فكثيراً ما يستدل الباحثون بتجربتها كنموذج بارز في دراسة العلاقة بين المجتمع المدني والسلطة، نظراً لكونها من التجارب القليلة التي تمكنت من الانتقال من نظام عنصري قهري إلى نظام تشاركي عبر عملية تفاوضية كان للمجتمع المدني فيها دور محوري، فقد ظهرت منذ الثمانينيات شبكات واسعة من المنظمات الأهلية والحقوقية والدينية^(٤)، مثل «الجبهة الديمقراطية المتحدة» التي ضمت أكثر من ٤٠٠ منظمة شعبية، بينها نقابات عمالية وطلابية واتحادات نسائية، وأسهمت في تعبئة المجتمع ضد سياسات الفصل العنصري وحشد تضامن وطني واسع.

كما لعبت مؤسسات دينية وحقوقية مثل مجلس كنائس جنوب إفريقيا دور الوسيط بين الدولة والمجتمع، وساهمت في صياغة اتفاقيات السلام الوطنية، والمشاركة في المفاوضات الدستورية التي أفضت إلى إنهاء الأبارتهايد^(٥) وبناء نظام سياسي جديد، وهو ما عزز الشرعية المحلية والدولية للعملية الانتقالية^(٦)، في حين استمر المجتمع المدني في ممارسة أدواره الرقابية والحقوقية؛ حيث طالبت منظمات مدنية بقدر أكبر من الشفافية في القضايا المتعلقة بالفساد والخدمات العامة، وبرزت حملات ضغط على الرئيس جاكوب زوما بسبب ملفات الفساد والسياسات الصحية، وهو ما دلّ على استمرار المجتمع المدني كقوة رقابية فاعلة حتى بعد انتهاء النضال التحرري^(٧).

شهد العالم نماذج متباينة لدور المجتمع المدني في مواجهة تفوّل السلطة، بين تجارب رسّخت التوازن وأخرى أخفقت في حماية المجتمع.

ففي تونس مثلاً شكّل المجتمع المدني نموذجاً بارزاً لدوره في حماية الانتقال السياسي، إذ لعب كل من الاتحاد العام للشغل والرابطة التونسية لحقوق الإنسان أدوار الوسيط بعد ثورة ٢٠١١م، وساهمت جهودهم في تجنب البلاد منزلق الحرب الأهلية، وهو ما منحهم -مع منظمّتين تونسيّتين أخريين- جائزة نوبل للسلام عام ٢٠١٥م^(٨)، غير أن هذا الدور أخذ يتراجع تدريجياً مع اضطراب المشهد السياسي، ولا سيما بعد ما يُعرف بـ «إجراءات جويلية» عام ٢٠٢١م التي اعتبرها كثيرٌ من التونسيين انقلاباً دستورياً قاده الرئيس قيس سعيد^(٩).

هذا التحول فتح الباب أمام تضيق متزايد على منظمات المجتمع المدني، وتراجع تأثيرها في ضبط التوازن بين السلطة والمجتمع، خاصة مع سعي الرئيس سعيد إلى احتكار القرار السياسي وتقليص فضاءات المعارضة، وقد انعكس ذلك من جديد في الأزمة الحادة بين الاتحاد التونسي للشغل والرئيس سعيد قبل أسابيع، على خلفية وقوف الاتحاد بجانب العمال والمعلمين الذين يطالبون بتحسين الأجور^(١٠).

ورغم بقاء المشهد السياسي مضطرباً في تونس، ظل المجتمع المدني حاضراً بصوته وفاعليته، ولم يرضخ بالكامل لضغوط السلطة، غير أن هذا الصمود الجزئي لا يُلغي حقيقة أن الضغط المستمر والقيود القانونية والسياسية قد تُضعف قدرته على التأثير الفعلي تدريجياً، وتحدّ من فرصه في استعادة زمام المبادرة، فمثل هذه الضغوط على سبيل المثال جعلت المجتمع التونسي يتماهى مع اعتقال كبار قيادات المعارضة التونسية مثل الشيخ راشد الغنوشي.

(١) الرباعي الراعي للحوار الوطني بتونس.. نوبل للسلام، الجزيرة نت.

(٢) رفض داخلي وضغط دولي.. هل يتراجع قيس سعيد عن «الانقلاب» ويعود إلى الدستور؟ trt عربي.

(٣) حلّ الاتحاد العام للشغل أو تجميد دوره.. سيناريوهات الصدام غير المسبوق بين قيس سعيد وأكبر منظمة نقابية في تونس، عربي بوست.

(٤) مادة: الجبهة الديمقراطية المتحدة (جنوب أفريقيا)، United Democratic Front (South Africa)، على ويكيبيديا (بالإنجليزية).

(٥) الأبارتهايد هو نظام فصل عنصري قائم على التمييز القانوني والمؤسسي بين الجماعات العرقية، حيث تُمنح فئة امتيازات كاملة وتُهمّش أخرى، كما حدث في جنوب أفريقيا بين البيض والسود.

(٦) تقرير: الانتقال التفاوضي في جنوب أفريقيا: السياق والتحليل والتقييم، South Africa's negotiated transition: Context, analysis and evaluation، على موقع c-r.org.

(٧) تقرير: كيف عزز المجتمع المدني الديمقراطية في جنوب أفريقيا، How civil society has strengthened democracy in South Africa، موقع africanngos.org.

١٩٥٠م نصوص ضمنت حرية تكوين الجمعيات والصحافة^(١)؛ ما وقّر إطاراً قانونياً واسعاً لتطور المجتمع المدني، وحينها برزت النقابات الطلابية والمهنية كأطر فاعلة في المجال العام، ولعبت دوراً سياسياً وتنظيمياً ملحوظاً.

كما ازدهرت الصحافة المستقلة وتعددت المنابر الثقافية، وهو ما أسهم في تشكيل فضاء عام للنقاش الحر والتعبير عن الرأي، إضافة لذلك توسعت الجمعيات الخيرية المحلية في مجالات الصحة والتعليم والإغاثة.

لكن تلك الفترة عموماً ١٩٤٩-١٩٥٨م ظلت هشة أمام تقلبات الانقلابات العسكرية مثل انقلاب حسني الزعيم في آذار ١٩٤٩م ثم انقلاب سامي الحناوي الذي أعاد الحياة الدستورية جزئياً، ثم انقلاب أديب الشيشكلي في كانون الأول ١٩٤٩م وإقامته حكماً فردياً استمر حتى ١٩٥٤م قيد فيه الأحزاب والنقابات وحرية الصحافة والجمعيات، وخلالها انحسر النشاط المدني لكن ظلت المقاومة حاضرة من النقابات والطلاب حتى سقوطه.

شهدت سوريا عودة برلمانية قصيرة بين (١٩٥٤-١٩٥٨م) ازدهرت فيها الأحزاب والصحافة والنقابات والجمعيات المدنية، وبذلك مثّلت تلك الحقبة لحظة تاريخية قصيرة في سوريا اتسمت بالتعددية المدنية والسياسية، قبل أن يبدأ التضييق المنهجي مع وصول البعث إلى السلطة عام ١٩٦٣م.

٢. مرحلة حكم نظام الأسد الأب والابن:

مع وصول حافظ الأسد إلى السلطة عام ١٩٧٠م وتحول النظام إلى دولة مركزية استبدادية، ضعفت استقلالية المجتمع المدني بشكل كبير؛ إذ وضعت معظم الجمعيات والمؤسسات تحت مراقبة صارمة من السلطة، وكان يُفرض عليها في كثير من الأحيان التبعية السياسية أو الإغلاق التام^(٢)، وحتى ما تأسس من مؤسسات ثقافية ودينية وتعليمية غالباً ما طغت عليها هيمنة السلطة بشكل واضح، حتى إن معاهد تحفيظ القرآن الكريم كانت تُنسب مباشرة إلى عائلة الأسد!^(٣)

ورغم تحديات التمويل المستقل وصعوبة التنسيق بين المنظمات الكبيرة والصغيرة، بقيت هذه المؤسسات محتفظة بجزء معتبر من استقلالياتها، قادرة على الدفاع عن الحقوق الاجتماعية والسياسية، وعلى حشد الرأي العام في قضايا العدالة والمساواة.

لذلك تُعدّ جنوب أفريقيا مثلاً متكرراً للاستدعاء في الأدبيات؛ لأنها أظهرت كيف يمكن للمجتمع المدني أن يتحول من قوة احتجاجية ضد الاستبداد إلى شريك فاعل في صياغة الانتقال السياسي والتشاركية، ثم إلى رقيب مستمر يحمي المجال العام من عودة السلطة إلى ممارساتها القمعية.

المجتمع المدني السوري.. بين ذاكرة القمع وإرث الثورة:

عاش السوريون في ٨ ديسمبر ٢٠٢٤م لحظة شعروا فيها أن صفحة جديدة قد فُتحت، وأن الفرصة باتت سانحة لبناء دولة مختلفة عن كل ما عرفوه في عقود القمع، بل مختلفة عن مرحلة الاضطرابات التي سبقت وصول البعث إلى السلطة، لذلك يثار النقاش اليوم حول الشكل الأنسب للعلاقة بين السلطة والمجتمع، خاصة أن أي سلطة عموماً قد تميل بطبيعتها إلى المركزية، وفي المقابل فإن المجتمع بطبيعته يسعى لأن يكون له صوت ورأي فيما يجري حوله لا سيما مع حرمان السوريين لعقود من المشاركة، ولهفتهم بأن يكون لهم دور في البناء، فضلاً عن أن التدافع الإيجابي بين الطرفين يقود إلى تعزيز صلابة الدولة، ومن هذا المنطلق يصبح استحضار المراحل التي مرّ بها المجتمع المدني في سوريا ضرورة لفهم حاضره واستشراف موقعه في مستقبل الدولة.

في الحالة السورية تحديداً يمكن التمييز بين ٣ مراحل:

١. مرحلة ما قبل وصول حزب البعث إلى السلطة:

شهدت سوريا بعد الاستقلال عام ١٩٤٦م توسعاً في تأسيس الجمعيات الأهلية والنقابات المهنية، مستندة إلى مناخ سياسي ودستوري سمح بالحرريات العامة، فعلى سبيل المثال أقرت في دستور

(١) دستور سوريا ١٩٥٠، ويكي مصدر.

(٢) من الفعالية إلى الإقصاء.. مؤسسات المجتمع المدني في سوريا (فترة حكم حافظ الأسد)، زمان الوصل.

(٣) هنا أتحدث عن تجربتي الشخصية في مدينة دير الزور، حيث كانت تنتشر معاهد لتحفيظ القرآن تحت مُسمى «معاهد الأسد لتحفيظ القرآن الكريم»، وهذا الحال كان واقعاً في بقية المحافظات في أنشطة تحفيظ القرآن، وأنشطة أخرى مثل الرياضة والثقافة.. إلخ.

وأسهمت في تعزيز قدرة المجتمعات المحلية على إدارة شؤونها.

هذا الحراك أعاد تعريف المجتمع المدني السوري بعد عقود من تهميشه في عهد الأسد، حيث كان يُصوّر كواجهة شكلية للسلطة، بينما برهنت المبادرات الجديدة أن السوريين قادرون على التنظيم الذاتي والمطالبة بحقوقهم والمساهمة في صياغة بدائل للحكم المحلي، وعلى الرغم من أن المناطق المحررة كانت مثقلة بالقصف والتهميش وأغرقت بموجات النزوح والمخدرات التي ضخها النظام عمداً لإضعافها؛ إلا أن المشهد المدني فيها ظل مختلفاً تماماً عن مناطق سيطرته، إذ وفرت المنظمات الناشئة شبكة دعم حيوية وملموسة للسكان، مع الإشارة هنا إلى الاختلاف عن شكل السلطات الذي كان قائماً قياساً مع كل منطقة، والذي يختلف عن السلطة المركزية.

وعلى سبيل المثال لا الحصر: تجدر هنا الإشارة إلى النشاط المجتمعي اللافت الذي برز عقب زلزال شباط ٢٠٢٣ م في مناطق شمال غربي سوريا الخاضعة لسيطرة المعارضة آنذاك، حيث أظهرت المجتمعات المحلية قدرة عالية على التنظيم الذاتي والاستجابة السريعة رغم هشاشة البنية التحتية وقلة الموارد حينها، وحتى صعوبة الطقس والأجواء الباردة التي لا ينساها من عاش تلك اللحظات والتي لم تمنع من انطلاق عشرات المبادرات التطوعية من قبل أفراد ومؤسسات محلية، شملت حملات لجمع التبرعات، وتأمين مراكز إيواء للنازحين، وتوفير المواد الإغاثية الأساسية كالطعام والدواء والبطانيات والإنترنت المجاني^(٢).

لكن هذا الانفتاح الكبير على العمل المدني لم يكن خالياً من التحديات المرتبطة بالتمويل وضعف الأداء، كما استغلت بعض الجهات لتأسيس منظمات بواجهة مدنية بينما سعت في الواقع لاختراق المجتمع السوري أو تمرير أجندات فكرية وقيمية لا تنسجم مع طبيعة المجتمع السوري، مثل

وفي السنوات الأولى من حكم الهارب بشار الأسد شهدت سوريا انفتاحاً نسبياً في المجال العام وخاصة ما عُرف بـ«ربيع دمشق»، حيث نشطت بعض المنتديات السياسية والمدنية، وظهرت مبادرات فكرية واجتماعية عبّرت عن رغبة في الحريات، إلا أن هذا الحراك لم يدم طويلاً؛ إذ سرعان ما أعاد النظام فرض سيطرته على الفضاء العام، وأغلق المنتديات، وضيّق على الجمعيات المستقلة، واعتقل عدداً من الناشطين والمثقفين، ليعود النشاط المجتمعي والسياسي إلى حالة من الانكماش تحت الرقابة الصارمة^(١).

كما ساهم النظام في خلق مناخ من الشك وعدم الثقة بين أفراد المجتمع، وانتشرت ظاهرة «كتابة التقارير» والرقابة على الأنشطة، وهو ما قلّل من قدرة هذه المؤسسات على أداء دورها الطبيعي كوسيط بين المجتمع والسلطة، ونتيجة لذلك أصبح المجتمع المدني أداة مساعدة للنظام بدلاً من أن يكون قوة مستقلة لضبط تغوّل الدولة أو الدفاع عن مصالح المواطنين.

وبهذا الشكل فقد المجتمع المدني السوري في عهد الأسد قوته ومصادقيته، وتحولت معظم مؤسساته إلى واجهات رمزية، ولم تعد تمثل صوت المواطنين أو قادرة على التأثير في صنع القرار؛ مما أدى إلى تراجع المشاركة الشعبية وتراكم شعور الإقصاء السياسي والاجتماعي لدى فئات واسعة من المجتمع^(٣).

٣. مرحلة الثورة السورية:

مع انطلاق الثورة السورية عام ٢٠١١ م شهدت مناطق المعارضة والحواضر الثورية انفجاراً غير مسبوق في نشاط المجتمع المدني؛ حيث تأسست عشرات المنظمات والمبادرات الأهلية التي انخرطت في مجالات التوثيق الحقوقي، والإغاثة الإنسانية، والتعليم، ودعم النازحين والمهجرين، كما لعبت هذه الكيانات دوراً رقابياً نسبياً في بعض المناطق،

(١) ربيع دمشق.. «العقد الضائع» الذي سبق الثورة السورية، الجزيرة نت.

(٢) المنظمات والجمعيات السورية: بين تركة الاستبداد واستراتيجيات البناء الوطني، المركز العربي للدراسات.

(٣) للتوسع ينظر: الكوارث ومرونة المجتمع؛ مدى حضور القيم والشبكات الاجتماعية شمال غرب سوريا في التفاعل مع كارثة زلزال ٦ شباط ٢٠٢٣ م، مركز الحوار السوري.

من الحديث عن بعض الشروط التي تجعل المجتمع المدني قوياً للقيام بدوره في مواجهة تغول السلطة.

كيف يكون المجتمع المدني قوياً؟

على رأس تلك الشروط: أن يكون هذا المجتمع -قياساً مع بعض التجارب الناجحة- بعيداً عن وصاية السلطة التنفيذية وتدخلاتها المباشرة، فضلاً عن أهمية الاستقلال المالي الذي يظل شرطاً أساسياً لبقاء المنظمات والنقابات بعيدة عن تبعية الدولة أو الارتهاان للإملاءات الخارجية.

وتكمن القوة أيضاً في بناء شبكات وتحالفات بين مختلف المكونات المدنية، بحيث يشكل تضافر النقابات والجمعيات والهيئات الحقوقية والدينية جبهة واحدة أكثر قدرة على صد تغول السلطة.

ولا يمكن إغفال البعد الثقافي والهوية الوطنية في ترسيخ شرعية المجتمع المدني، من خلال استعادة تقاليد راسخة كالأوقاف والجمعيات الخيرية، ومواجهة ونبذ الأفكار الدخيلة على المجتمع بحيث يُكسبه نوعاً من الثقة المحلية بشكل يُعزز صلابته في المواقف الطارئة.

أدوات المجتمع المدني في مواجهة تغول السلطة:

حتى لا تتحول الدولة إلى جهاز متفرد بالقرار؛ يحتاج المجتمع المدني إلى جملة من الأدوات التي تمكّنه من كبح جماح السلطة والحد من نزعتها للتغول، ومن أبرز هذه الأدوات:

١. المساءلة والشفافية:

المساءلة هي السلاح الأول بيد المجتمع المدني لمنع السلطة من الاستبداد، فحين تفرض المنظمات والنقابات حق الاطلاع على الموازنات العامة والقرارات المصيرية، وتجعلها متاحة للرأي العام؛ يصبح من الصعب على السلطة أن تنفرد بالقرار أو تهدر المال العام.

٢. التعبئة المجتمعية المنظمة:

حين يحتكر الحاكم القرار تصبح قدرة المجتمع المدني على تنظيم الاحتجاجات السلمية والإضرابات والتعبئة الجماهيرية أداة ضغط مباشرة، وهذا ما

بعض المشاريع المرتبطة بالنسوية أو المثلية وما سواها^(١).

ومع ذلك.. فإن تجربة المجتمع المدني السوري خلال الثورة وما تلاها من نشاط واسع خلّفت إرثاً غنياً من الخبرات المؤسسية والمهارات التنظيمية التي تُعدّ رصيذاً مهماً لأي عملية إعادة بناء مستقبلية، فقد أظهرت التجربة أن المبادرات المحلية -رغم محدودية الموارد وصعوبة الظروف المحيطة- قادرة على الاستمرار والتكيف وتطوير أشكال مبتكرة من التنظيم والخدمة؛ ما يجعل من الضروري اليوم إعادة التفكير في موقع المجتمع المدني داخل أي بنية سياسية مقبلة، بحيث لا يكون تابعاً للسلطة ولا واجهة شكلية لها، بل شريكاً أساسياً في صنع القرار ورسم السياسات العامة.

وبذلك فإن تجربة العقد الماضي لا تمثل مرحلة طارئة ارتبطت بالثورة فحسب، بل هي نقطة تأسيس لمسار جديد يمكن البناء عليه في المستقبل إذا ما وُجدت الإرادة السياسية لفتح المجال العام، وتوفرت الضمانات القانونية والمؤسسية التي تكفل حرية التنظيم، واستقلالية المجتمع المدني، وتمنع تكرار أنماط التسلط التي قيّدت لعقود.



تجربة المجتمع المدني السوري خلال الثورة وما تلاها من نشاط واسع خلّفت إرثاً غنياً من الخبرات المؤسسية والمهارات التنظيمية التي تُعدّ رصيذاً مهماً لأي عملية إعادة بناء مستقبلية. ما يجعل من الضروري اليوم إعادة التفكير في موقع المجتمع المدني داخل أي بنية سياسية مقبلة، بحيث لا يكون تابعاً للسلطة ولا واجهة شكلية لها، بل شريكاً أساسياً في صنع القرار ورسم السياسات العامة

كيف يكون المجتمع المدني قوياً وما أهم أدواته في مواجهة تغول السلطة؟

قبل الحديث عن السبل والأدوات التي تمكّن المجتمع المدني من مواجهة تغول السلطة، لا بد

(١) لعل هذا ما يتمثل بكثرة نشاط المنظمات التي تتغذى برداء المجتمع المدني لتحاول اختراق المجتمعات المحافظة، وهذا ما نلاحظه بارتفاع صوت مثل تلك الجهات وعملها على إصدار تقارير دورية عن الحالة النسوية في شمال غرب سوريا أو شمال شرقها، مع تقديم التوصيات اللازمة لـ «تحسين الواقع» من وجهة نظرها.

حين يستند المجتمع المدني إلى قيم متجذرة في المجتمع فإنه يكتسب مشروعية يصعب على السلطة إنكارها؛ ما يحد من قدرتها على تصوير المجتمع المدني كتهديد خارجي كما تحاول أن تفعل أغلب السلطات في العالم العربي

خاتمة:

يتضح من استعراض بعض التجارب المختلفة أن المجتمع المدني يمثل خط الدفاع الأول أمام نزعات السلطة للهيمنة، فهو الذي يوفر للمجتمع أدوات الرقابة والضغط والتعبئة، ويضمن بقاء الدولة في حدود وظيفتها الأصلية كخادم للمجتمع لا كمتسلط عليه.

وبعيداً عن سوريا وتجربتي تونس وجنوب إفريقيا، وبمنظرة إجمالية على امتداد العالم العربي عمومًا، يمكن القول: إن المجتمع المدني ما يزال يعاني من ضعف الحضور وتقييد دوره، إذ تُحاصر منظماته بالقيود القانونية، وتُقصى عن دوائر صنع القرار، فلا يُنظر إليها غالباً إلا بوصفها كيانات ثانوية أو تابعة، الأمر الذي يُضعف من قدرتها على التأثير في السياسات العامة أو ممارسة الضغط على السلطة، بينما تتجلى الصورة في الغرب بشكل مغاير، حيث نجحت مؤسسات المجتمع المدني في التحول إلى قوة ضغط منظمة وفاعلة تفرض نفسها شريكاً لا يمكن تجاوزه في عملية التشريع وصنع السياسات.

فعله «الاتحاد العام للشغل» في تونس عندما أجبر الحكومات المتعاقبة على مراجعة قراراتها، فالتعبئة المنظمة تمنع السلطة من فرض سياسات تمس المجتمع دون ردّ.

٣. التحالفات العابرة للقطاعات:

كلما بقي المجتمع المدني مجزأً كان أسهل للسلطة اختراقه أو قمعه، لكن عندما تتوحد النقابات مع الجمعيات الحقوقية مع الروابط الدينية والثقافية يصبح ميزان القوة أكثر توازناً؛ فالتحالفات تُصعب على الحاكم الاستفراد بالقرار وتجعله مضطراً للتفاوض.

٤. استخدام المرجعيات الثقافية والدينية:

كثير من السلطات تسعى لنزع الشرعية الثقافية عن خصومها، لكن حين يستند المجتمع المدني إلى قيم متجذرة في المجتمع فإنه يكتسب مشروعية يصعب على السلطة إنكارها، ما يحد من قدرتها على تصوير المجتمع المدني كتهديد خارجي كما تحاول أن تفعل أغلب السلطات في العالم العربي التي تحاول شيطنة المجتمع المدني.

وفي هذا السياق أيضاً تجدر الإشارة إلى جملة من العوامل الداعمة التي تسهم بشكل مباشر في تعزيز فاعلية المجتمع المدني، والتي تتقاطع مع ما سبق ذكره من أدوات، إذ تعدّ هذه العوامل بمثابة ركائز تمكّن المجتمع المدني من أداء أدواره بكفاءة واستقلالية، ومن أبرزها:

١. القضاء المستقل والدعم القانوني:

من أبرز آليات منع التّفوّل أن يتبنّى المجتمع المدني الدفاع عن استقلال القضاء، ويمدّ الأفراد بالدعم القانوني لمواجهة تعسف الدولة، ففي جنوب إفريقيا مثلاً لعبت المنظمات الحقوقية دوراً جوهرياً في ضمان محاسبة رجال السلطة أمام المحاكم؛ ما قطع الطريق على تجذر الاستبداد.

٢. الإعلام الحر والرقابة الشعبية:

يُعدّ الإعلام المستقل أداة رئيسة لفضح التجاوزات وكشف الانتهاكات، والمجتمع المدني بدوره يستطيع أن يكون حامياً للإعلام الحر، وأن يُفعل منصات توثيق محلية ودولية، بحيث يجد المواطن منفذاً لتبليغ صوته ويجد المسؤول نفسه تحت عين الرقابة الدائمة.

ضوابط فهم وتنزيل أشراط الساعة على الواقع

د. جمال الفرا^(*)

علامات الساعة جزء من العقيدة، ولا يثبت منها إلا ما جاء في القرآن والسنة الصحيحة، وقد يقع الانحراف حين يُربط الواقع بها بلا ضوابط، انطلاقاً من الوهم والعاطفة؛ فينتج تأويل فاسد أو استغلال سياسي، والضوابط الشرعية تقوم على: التحقق من صحة النصوص، وفهمها بميزان الشرع، والرجوع لأهل العلم، والمطلوب هو الاستعداد لها بالعمل الصالح وتثبيت الإيمان، لا التواكل أو انتظار الأحداث بغير وعي.

مدخل:

وليس المقصود من مقالنا هذا سرد ما ورد من الأشراف، ولا تحقيق ما ورد منها، ولا الرد على من أنكروها؛ فقد كتب في هذا من العلماء الكثير، وإنما المقصود الإشارة إلى نقاط يمكن أن تحدد التعامل معها نصوياً ووقوعاً، ولذلك لن نخوض في شرح وتفصيل كل ما يرد من الأمثلة عن أشراط الساعة، وإنما نشير إليها إشارة ونقف عند موضع الشاهد منها.

أشراط الساعة:

يطلق عليها عدة أسماء منها: أشراط - علامات - أمارات - أحداث - آيات.

وأشراط الساعة: العلامات الدالة على قرب الساعة. أو هي أحداث وأمور تجري مرتبطة بقرب اليوم الآخر.

كلما وقع حدث عالمي ذو أهمية تداعى عدد من الناس لربط هذا الحدث بوقوع أحد أشراط الساعة، وربما اعتمد هؤلاء على روايات ضعيفة أو موضوعية في أشراط الساعة، وإذا صحت الرواية لَوُوا عنق النص وتأولوه بما لا يحتمل التأويل ليوافق الحدث الواقع.

وينتشر هذا التأويل بين الناس مما ينتج عنه مواقف خاطئة واعتقادات فاسدة تؤثر على المجتمع وعلاقات الناس، وقد تحمل على انحرافات في المنهج والفكر.

لذلك لا بد من بيان ضوابط التعامل مع أشراط الساعة وتنزيلها على الوقائع درءاً للوقوع في الآثار السيئة لهذا التأويل.

(*) خطيب وداعية.

ومن أدلة ثبوت علامات الساعة:

« من القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيْمَانِهَا خَيْرًا قُلِ انْتَضَرُوا إِنَّا مُنْتَظِرُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٨]. وقد ورد في تفسير هذه الآية ما رواه مسلم والترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً: (ثلاث إذا خرجن لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً: طلوع الشمس من مغربها، والدجال، ودابة الأرض)^(١).

« من السنة النبوية: عن عوف بن مالك رضي الله عنه قال: «أتيت النبي صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك وهو في قبة من آدم، فقال: (اعدد ستاً بين يدي الساعة: موتي، ثم فتح بيت المقدس، ثم موتان يأخذ فيكم كقعاص الغنم، ثم استفاضة المال حتى يعطى الرجل مائة دينار فيظل ساخطاً، ثم فتنة لا يبقى بيت من العرب إلا دخلته، ثم هدنة تكون بينكم وبين بني الأصفر فيغدرون فيأتونكم تحت ثمانين غاية تحت كل غاية اثنا عشر ألفاً)^(٢).

وموضع الإيمان بأشراط الساعة هو من علم العقيدة، ومن الإيمان بيوم القيامة، قال تعالى: ﴿فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا فَأَنَّى لَهُمْ إِذَا جَاءَتْهُمْ ذِكْرَاهُمْ﴾ [محمد: ١٨]، وفي حديث جبريل عليه السلام: قال: فأخبرني عن الساعة، قال: (ما المسؤول عنها بأعلم من السائل)، قال: فأخبرني عن أمارتها^(٣)، وقوله: (اعدد ستاً بين يدي الساعة...).

آثار الإيمان بأشراط الساعة:

للإيمان بأشراط الساعة آثار عديدة على المسلم، لعل من أهمها:

١. تحقيق الإيمان بركن من أركان الإيمان الستة كما سبق بيانه.
٢. تثبيت الإيمان وتقويته إذا رأى المسلم تحقق ما أخبر به الشرع من أشراف وأخبار.

٣. تعليم المسلم الأحكام الشرعية في قادم الحوادث، وبيان كيفية التعامل معها، فمن ذلك: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أخبر أن الدجال يمشي في الأرض أربعين يوماً، يوم من أيامه كسنة، ويوم كشهر، ويوم كأسبوع، وبقية أيامه كأيامنا، وقد سأل الصحابة رضي الله عنهم رسول الله صلى الله عليه وسلم عن تلك الأيام الطويلة: أتكفي في الواحد منها صلاة يوم؟ فقال صلى الله عليه وسلم: (لا، أفدروا له قدره)^(٤).

٤. تحذير للمسلم من الوقوع في المحرمات مثل الألفاظ التي وردت في الأحاديث: (أحذركم الدجال، بادروا بالأعمال فتناً...).

أشراط الساعة من علم الغيب:

أشراط الساعة من قضايا العقيدة، وتندرج تحت باب علم الغيب المتعلق بالمستقبل والذي ذكر القرآن بعضه وأطلع الله نبيه صلى الله عليه وسلم على بعض خبره. والغيب في أشراف الساعة يكون في: العلم بأنها من علامات الساعة، ووقت وقوعها، وتنزيل الواقعة على الحدث؛ لذا لا بد من الدقة في تنزيلها والتعامل معها.

وطرق إثبات نصوصها: هي طرق إثبات الغيبات؛ فهي محصورة بطريق الوحي الصحيح من نصوص الكتاب والسنة.

توقع وقوع أشراف الساعة والسؤال عنها:

يصح توقع حدوث بعض أشراف الساعة، بل إن الغاية من ورود أشراف الساعة في النصوص لتتوقع حدوثها فننذكر ونتعظ ونستعد، فعن النواس بن سمعان الكلابي قال: (ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم الدجال الغداة فخفض فيه ورفع حتى ظننا أنه في طائفة النخل، فلما رُحنا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم عرف ذلك فينا فقال: ما شأنكم؟ فقلنا: يا رسول الله، ذكرت الدجال غداة فخفضت فيه ورفعته حتى ظننا أنه في طائفة النخل، قال: غير الدجال أخوفني عليكم، إن يخرج وأنا فيكم فأنا حبيبٌ دونكم، وإن يخرج ولست فيكم فامرؤٌ حجيجٌ نفسه، والله خليفتي على كل مسلم)^(٥).

(١) أخرجه مسلم (١٥٨) والترمذي (٣٠٧٢).

(٢) أخرجه البخاري (٣١٧٦)، آدم: الجلد المدبوغ، مؤتان: الموت الكثير، عُقاص الغنم: داء يصيب الدواب تموت منه فجأة.

(٣) أخرجه مسلم (٨).

(٤) أخرجه مسلم (٢٩٣٧).

(٥) أخرجه مسلم (٢٩٣٧).

والأحاديث الضعيفة والموضوعة لا يعمل بها في هذا الباب، والإسرائيليات يعمل فيها بحديث النبي ﷺ: (لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم) (٥).

٢. عدم التكلف في البحث عنها وتنزيلها:

فهناك فرق بين توقع حدوثها وبين البحث عنها وتنزيلها على الوقائع والأعيان، فالبحث ليس تكليفاً، وهو ربط النص الوارد بحادثة ما بمجرد وقوعها دون انقضائها، أما التوقع فهو يدخل في باب المواعظ والترغيب والترهيب بذكر الأشراف، كالتحذير من الدجال.

والتكليف حكم شرعي يحتاج لدليل على ثبوته، وإن ألزمتنا أنفسنا بالبحث فقد يكون سبباً في الانحراف والضلالة.

مثال ذلك: البحث عن المهدي وما يتبع ذلك من أشراف، فقد نشأ بسبب البحث عن المهدي وانتظاره انحراف عن أهل السنة والجماعة في فرق شتى تجاوزت مجرد البحث إلى اعتقادات باطلة كما هو الحال عند الرافضة والبهائية.

هناك فرق بين توقع حدوث أشراف الساعة وبين البحث عنها وتنزيلها على الوقائع والأعيان، فالبحث ليس تكليفاً، وهو ربط النص الوارد بحادثة ما بمجرد وقوعها دون انقضائها، أما التوقع فهو يدخل في باب المواعظ والترغيب والترهيب بذكر الأشراف كالتحذير من الدجال

متى نجزم بوقوع أحد أشراف الساعة؟

نجزم بعد التحقق من الوقوع بشكل قطعي بعد التأكد من ثبوت النص الدال على العلامة، كموقف علي عليه السلام من ذي النُدَيَّة.

عن أبي سعيد الخدري عليه السلام قال: بينما نحن عند رسول الله ﷺ وهو يقسم قسمًا، أتاه ذو الخويصرة -وهو رجل من بني تميم- فقال: يا رسول الله اعدل، فقال: (ويلك! ومن يعدل إذا لم أعدل؟! قد خبت وخسرت إن لم أكن أعدل، فقال عمر: يا

وكذلك حين ظن عمر رضي الله عنه أن ابن صياد هو الدجال، ففي الحديث عن محمد بن المنكدر قال: «رأيت جابر بن عبد الله يحلف بالله: أن ابن الصائد الدجال، قلت: تحلف بالله؟ قال: إني سمعت عمر يحلف على ذلك عند النبي ﷺ، فلم ينكره النبي ﷺ» (١).

والدليل على أن السؤال عنها وتحقيق مسائلها مطلوب: حديث جبريل حين سأل رسول الله ﷺ عنها.

لذلك يجب أن نفرق بين توقع حدوثها وبين الجزم بوقوعها في زمن ما قبل الوقوع.

يصح توقع حدوث بعض أشراف الساعة، بل إن الغاية من ورود أشراف الساعة في النصوص لتوقع حدوثها فتذكر ونتعظ ونستعد

ضوابط تنزيل الأشراف على الواقع:

١. التأكد من صحة وصراحة النص الوارد فيها: فالنصوص أقسام:

« نصوص صحيحة صريحة، والصريح الذي له معنى واحد لا يختلف فيه، كنزول عيسى عليه السلام عند المنارة البيضاء شرقي دمشق.

« نصوص صحيحة غير صريحة، كحديث: (ستصالحون الروم صلحاً آمناً تقاتلون أنتم وهم عدواً من ورائكم) (٢)، فتحديد الروم، وكيفية الصلح معهم، والعدو الذي سيقاثلونه جميعاً: غير محدد، ولا دليل على تحديده.

« نصوص ضعيفة صريحة، مثاله حديث: (تخرج من خراسان رايات سود، لا يردّها شيء حتى تنصب بإيلياء) (٣).

« نصوص ضعيفة غير صريحة، مثاله حديث: (يخرج رجل يقال له: السفيناني في عمق دمشق) (٤).

« نصوص موضوعة، أو من الإسرائيليات.

(١) رواه البخاري (٧٣٥٥).

(٢) أخرجه أبو داود (٤٢٩٢).

(٣) أخرجه الترمذي (٢٢٦٩) وقال: حديث غريب.

(٤) رواه الحاكم في المستدرک (٨٤٠).

(٥) رواه البخاري (٤٤٨٥).

الكشف عن علامة من علامات الساعة
أحد أنواع العلوم الشرعية، والعلم الشرعي
يرجع فيه الناس إلى أهل الاختصاص
والاجتهاد، فلا يقوم بذلك العامي

ه. التحقق من معاني النصوص وفهمها بشكل صحيح:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:
(مَنَعَتِ الْعِرَاقُ دَرَاهِمَهَا وَقَفِيزَهَا، وَمَنَعَتِ الشَّامُ
مُدِّيَهَا وَدِينَارَهَا، وَمَنَعَتِ مِصْرَ إِرْدَبَهَا وَدِينَارَهَا،
وَعُدْتُمْ مِنْ حَيْثُ بَدَأْتُمْ، وَعُدْتُمْ مِنْ حَيْثُ بَدَأْتُمْ،
وَعُدْتُمْ مِنْ حَيْثُ بَدَأْتُمْ)، شَهِدَ عَلَى ذَلِكَ لَحْمُ أَبِي
هَرِيرَةَ وَدَمُهُ ^(٣).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كيف أنتم إذا لم
تجتنبوا ديناراً ولا درهماً؟ فقيل له: وكيف ترى
ذلك كائناً يا أبا هريرة؟ قال: إي والذي نفس أبي
هريرة بيده، عن قول الصادق المصدوق. قالوا:
عم ذاك؟ قال: (تنتهك ذمة الله وذمة رسوله ﷺ،
فيشذ الله عز وجل قلوب أهل الذمة فيمنعون ما في
أيديهم) ^(٤).

فالنص الثاني يبين المقصود بالنص الأول من
منع الدرهم والدينار، وقد تكلف بعضهم بحملها
على الحصار المادي على بلاد العراق والشام.

ومن الفهم: الإحاطة بشروط ومكملات وأحوال
وقوع الأشراف كما جاءت بذلك النصوص، فمثلاً:
نزول سيدنا عيسى عليه السلام مرتبط بخروج
الدجال، وقد وردا في حديث واحد، فعن أبي هريرة
رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (لا تقوم الساعة حتى
ينزل الروم بالأعماق، أو بدابق، فيخرج إليهم
جيش من المدينة من خيار أهل الأرض يومئذ، فإذا
تصافوا قالت الروم: خلوا بيننا وبين الذين سبوا
منا نقاتلهم، فيقول المسلمون: لا والله، لا نخلي
بينكم وبين إخواننا؛ فيقاتلونهم ... فبينما هم
يقتسمون الغنائم، قد علقوا سيوفهم بالزيتون،
إن صاح فيهم الشيطان: إن المسيح قد خلفكم في
أهليكم، فيخرجون -وذلك باطل- فإذا جاؤوا
الشام خرج، فبينما هم يعدون للقتال يسوون

رسول الله ائذن لي فيه فأضرب عنقه، فقال: دعه،
فإن له أصحاباً ... آيتهم رجل أسود إحدى عضديه
مثل ثدي المرأة، أو مثل البضعة تدردر، ويخرجون
على حين فرقة من الناس)، قال أبو سعيد: فأشهد
أنني سمعت هذا الحديث من رسول الله ﷺ، وأشهد
أن علي بن أبي طالب قاتلهم وأنا معه، فأمر بذلك
الرجل فالتمس فأتي به حتى نظرت إليه على نعت
النبي ﷺ الذي نعت ^(١).

٣. ومن الجزم بالوقوع، التأكد من انقضاء العلامة وتتمامها:

فسبب الوقوع في الخطأ في أغلب الأحوال هو
عدم الانتظار إلى انقضاء الحادثة. وقد تكلم العلماء
كثيراً في بيان المراد بـ«إفساد بني إسرائيل» الوارد
في سورة الإسراء، وحملها بعض المعاصرين على علو
الصهيانية في هذا الزمان، وما تزال الأحداث تجري
ولم تنته بعد، فلا نستطيع الجزم بأنه الإفساد
الثاني، والكلام في هذا الأمر طويل له موقعه.

كما لا نستطيع الجزم بنطق الحجر والشجر إلا
بعد وقوعه، عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ
قال: (لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا اليهود، حتى
يقول الحجر وراءه اليهودي: يا مسلم، هذا يهودي
ورائي فاقتله) ^(٢).

٤. الاجتهاد في استنباطها ووقوعها يكون من أهل الاجتهاد والاختصاص:

الكشف عن علامة من علامات الساعة أحد أنواع
العلوم الشرعية، والعلم الشرعي يرجع فيه الناس
إلى أهل الاختصاص والاجتهاد، فلا يقوم بذلك
العامي.

أما الاستنباط فلا بد من تحقيق النصوص
ودراستها ومعرفة متعلقاتها الشرعية، وأما الوقوع
فلا بد من الإحاطة بالواقع من كل جوانبه فالحكم
على الشيء فرع عن تصوره.

مثال ذلك: الموقف من معرفة مكان ردم يأجوج
ومأجوج، هل هو سور الصين كما يروج بعض
العامّة، وهل قوم يأجوج ومأجوج هم شعب
الْخَزَر؟!

(١) أخرجه البخاري (٣٦١٠) ومسلم (١٠٦٤) واللفظ للبخاري، ومعنى تَدْرَدَرُ: أي تضطرب.

(٢) أخرجه البخاري (٢٩٢٦) ومسلم (٢٩٢٢).

(٣) أخرجه مسلم (٢٨٩٦)، والقفيز: مكيال معروف لأهل العراق، والمُدي: مكيال معروف لأهل الشام.

(٤) أخرجه البخاري (٣١٨٠).

الساعة- على ظهور المغول والتتار، وهو تأويل بعيد من جهة الزمان والمكان.

كما قال ابن عاشور في أجوج ومأجوج: «والذي يجب اعتماده أن يأجوج ومأجوج هم المغول والتتر»، «إن موضع السدين هو الشمال الغربي لصحراء (قوبي) الفاصلة بين الصين وبلاد المغول شمال الصين وجنوب (منغوليا)»^(٢).

٨. مراعاة ألفاظ الشريعة والعرف في زمن النبوة:

فتحديد مكان دابق -المذكور في الحديث السابق- هل هو في الشام أم هو موضع قرب المدينة؟

والذي عليه أهل العلم أن دابق في الشام، نقل القاري قول التوربشتي -رحمه الله- في دابق: «وهو موضع معروف من عمل حلب، ومرج دابق مشهور... فيخرج إليهم جيش من المدينة... وقال في الأزهار: وأما ما قيل من أن المراد بها مدينة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فضعيف؛ لأن المراد بالجيش الخارج إلى الروم جيش المهدي بدليل آخر الحديث، ولأن المدينة المنورة تكون خراباً في ذلك الوقت»^(٣).

وهل نجد هي العراق أم نجد في جزيرة العرب؟ يرجع ذلك إلى ألفاظ الشريعة والعرف في زمن النبوة، عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: (اللهم بارك لنا في شامنا وفي يمننا. قالوا: وفي نجدنا؟ قال: اللهم بارك لنا في شامنا وفي يمننا. قالوا: وفي نجدنا؟ قال: هناك الزلازل والفتن، وبها يطلع قرن الشيطان)^(٤).

قال الحافظ ابن حجر في فتح الباري: «وقال الخطابي: نجد من جهة المشرق، ومن كان بالمدينة كان نجده بادية العراق ونواحيها، وهي شرق أهل المدينة، وأصل النجد: ما ارتفع من الأرض، وهي خلاف الغور، فإنه ما انخفض من الأرض، وتهامة كلها من الغور، ومكة من تهامة» انتهى. وعرف بهذا وهاء ما قاله الداودي أن نجداً من ناحية العراق، كأنه توهم أن نجداً موضع مخصوص، وليس كذلك، بل كل شيء ارتفع بالنسبة إلى ما يليه يسمى نجداً، والمنخفض غورا»^(٥).

الصفوف إذ أقيمت الصلاة، فينزل عيسى ابن مريم عليه السلام، فأَمَّهُمْ، فإذا رآه عدو الله ذاب كما يذوب الملح في الماء، فلو تركه لاندب حتى يهلك، ولكن يقتله الله بيده، فيريهم دمه في حربته)^(١).

٦. عدم التكلف في قراءة الواقع:

والتكلف في قراءة الواقع ينشأ من التخيلات والأوهام التي ترافق الأحداث العظيمة، مثال ذلك: كتاب هرمجدون الذي يحمل من العجائب الكثير، ومما قال مؤلفه مثلاً: «روى نعيم بن حماد بسنده عن كعب قال: «علامة خروج المهدي ألوية تقبل من المغرب عليها رجل أعرج من كندة».. ما كنت أظن أن يختار الأمريكيان رجلاً أعرج فيجعلوه في منصب رئيس هيئة أركان القوات المشتركة ... فلما رأيت الجنرال «ريتشارد مايرز» يقبل على عكازين ليعلن للشعب الأمريكي بدء عمليات القوات المشتركة الجوية والبرية والبحرية ضد أفغانستان، قلت: الله أكبر، صدقت يا رسول الله. إن خروج ألوية القوات المشتركة لجيش الغرب (الرايات الصليبية) تحت قيادة الأعرج الكندي لهو بدء الملاحم، وهو لعمر الله علامة خروج المهدي عليه السلام... إلى آخر كلامه!!

قد يحمل بعض الناس ما أُشير إليه من أشرطة الساعة المتأخرة على أحداث وقعت في أزمنة لا تحتمل أن تكون زمن النهاية، مثال ذلك: حمل خروج يأجوج ومأجوج -وهو من آخر أشرطة الساعة- على ظهور المغول والتتار، وهو تأويل بعيد من جهة الزمان والمكان

٧. التقريب الزمني والمكاني للواقعة:

قد يحمل بعض الناس ما أُشير إليه من أشرطة الساعة المتأخرة على أحداث وقعت في أزمنة لا تحتمل أن تكون زمن النهاية، مثال ذلك: حمل خروج يأجوج ومأجوج -وهو من آخر أشرطة

(١) أخرجه مسلم (٢٨٩٧).

(٢) التحرير والتنوير (٣١/١٦، ٣٣).

(٣) مرقاة المفاتيح (٣٤١٢/٨).

(٤) أخرجه البخاري (١٠٣٧).

(٥) فتح الباري (٤٧/١٣).

ضوابط تنزيل الأشراف على الواقع

- ١ التأكد من صحة وصراحة النص الوارد فيها
- ٢ عدم التكلف في البحث عنها وتنزيلها
- ٣ التأكد من انقضاء العلامة وتمامها
- ٤ الاجتهاد في استنباطها ووقوعها يكون من أهل الاجتهاد والاختصاص
- ٥ التحقق من معاني النصوص وفهمها بشكل صحيح
- ٦ عدم التكلف في قراءة الواقع
- ٧ التقريب الزمني والمكاني للواقعة
- ٨ مراعاة ألفاظ الشريعة والعرف في زمن النبوة
- ٩ الأصل أن تحمل ألفاظ النصوص على حقيقتها دون تأويل
- ١٠ معرفة الجهة التي تروج لوقوع أحد أشراف الساعة

وظف بعض أصحاب الفرق المخالفة كالرافضة والخوارج نصوص بعض أشراف الساعة لنشر فكرهم وتليبس الحق بالباطل أمام العامة من الناس

خاتمة:

ومن خلال ما سبق يتضح أن من أهم الأخطاء في التعامل مع موضوع أشراف الساعة:

تكذيب النصوص الصحيحة الصريحة، أو ردها لأسباب متنوعة، أو الاعتماد على الأحاديث الضعيفة أو الموضوعة، أو تحريف معاني النصوص بتأويلات فاسدة، أو التكلف في تنزيلها على وقائع أو أحداث معينة، أو توظيفها لخدمة أغراض فكرية أو سياسية منحرفة.

أو التواكل عليها وعدم الأخذ بالأسباب للحماية من فتنها، وترك العمل وانتظارها، بل هو من جملة الأخذ بالأسباب وتحقيق التوكل على الله، جاء في الحديث: (إن قامت على أهدكم القيامة وفي يده فسيلة، فليغرسها)^(١).

٩. الأصل أن تحمل ألفاظ النصوص على حقيقتها دون تأويل:

فالأحاديث التي وردت في شرح تفاصيل بعض أشراف الساعة أشكلت على بعض الناس هل هي على حقيقتها أم أنها يمكن تأويلها؟ من ذلك: تأويل البعض نطق الحجر والشجر، وتكليم الرجل عذبة سوطه، والقتال بالسيف والرمح، وتجاوز البعض ذلك إلى تأويل الدجال بأمريكا والحضارة الغربية! والأصل فيها حملها على الحقيقة؛ إذ لا داعي لتأويلها، ولا يستحيل عقلاً ولا شرعاً وقوعها كما هي.

١٠. معرفة الجهة التي تروج لوقوع أحد أشراف الساعة:

فقد وظف بعض أصحاب الفرق المخالفة كالرافضة والخوارج نصوص بعض أشراف الساعة لنشر فكرهم وتليبس الحق بالباطل أمام العامة من الناس.

فاعتونا بنشر كتاب «الجفر»^(١) وعلامات عودة المهدي الغائب -بزعمهم- وفعلوا من القبائح نتيجة لذلك ما لم يذكر مثلها التاريخ.

(١) ويقصدون بالجفر: علم يبحث في خصائص الحروف ويستخرج منها دلائل تشير إلى أحداث تقع في المستقبل.
(٢) أخرجه البخاري في الأدب المفرد (٧٤٩) وأحمد في المسند (١٢٩٠٢) واللفظ لأحمد.

بين يدي عام دراسي جديد

أ. أنس جمعة حشيشو^(١)

مع إشراقة عام دراسي جديد لا تُفتح أبواب المدارس فحسب، بل تُفتح معها أبواب المسؤولية المشتركة: مسؤولية الآباء في الرعاية والتوجيه، والمعلمين في التربية والتعليم، والطلاب في الجد والاجتهاد، والمجتمع في دعم النهضة وصناعة المستقبل. وهذا المقال يوجه رسائل مهمة لجميع هؤلاء، ليكون عامنا الدراسي خطوة حقيقية في بناء الإنسان وصناعة المستقبل.

أما الرسالة الأولى، فهي للآباء:

إنَّ تأمين الطعام والشراب وإعداد المسكن وتأمين اللباس، وتأمين الحقائب والدفاتر والقرطاسية، ليست هذه معالم التربية والعناية فحسب، بل حبيبكم المصطفى ﷺ قال: (كلكم راع ومسؤول عن رعيته، فالإمام راع وهو مسؤول عن رعيته، والرجل في أهله راع وهو مسؤول عن رعيته، والمرأة في بيت زوجها راعية، وهي مسؤولة عن رعيته)^(٢).

أقبل عامٌ دراسي جديد، وفُتحت أبواب العلم والخير على مصراعها لأبنائنا وبناتنا، فصاروا أهلاً لنيل بشارة المصطفى ﷺ: (من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهل الله له طريقاً إلى الجنة، وإن الملائكة لتضع أجنحتها رضا لطالب العلم)^(٣)، فهيئنا لمن شملته تلك المعية والميزة، وهنيئاً لمن ساعد أولاده بأن ينالوا ذاك الفضل العظيم، ولنا في هذا المقام رسائل وهمسات نبثها بين يدي عام دراسي جديد مبارك.

(*) المدير العلمي لشركة مشكاة، مستشار تربوي في منصة ملاذ الأسرة.
(١) أخرجه أبو داود (٣٦٤١)، والترمذي (٣٦٨٢)، وابن ماجه (٢٢٣) واللفظ له.
(٢) متفق عليه: أخرجه البخاري (٢٤٠٩) ومسلم (١٨٢٩).

مع أَنَّ الله تعالى يقول: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾ [الإسراء: ٩]، والواقع يشهد أَنَّ كثيراً من أوائل المتفوقين في الدراسة هم من طلاب الحلق، بل إنَّ بعض الدراسات التربوية الحديثة تشير إلى أَنَّ حفظ القرآن يرفع من مستوى التركيز والذاكرة؛ مما ينعكس إيجاباً على الأداء الأكاديمي. فليكن أبناؤكم على يقين أَنَّ التفوق والنجاح والتيسير والشرف إنما هو ببركة القرآن وتعظيمه.



أيها الأب/ الأم: ابنتك وابنتك جوهرة بين يديك، فاحرص على تقديم كل الدعم والرعاية حتى ينشؤوا نشأة سليمة متعافية، ناضجة بالعلم والفهم والفكر والإدراك والمعرفة

والرسالة الثانية لك أيها الفاضل القدير (المربي):

يا مَنْ تركت بصمتك التربوية على ذاكرة الجيل وشخصيته، أنت اليوم أمام فرصة عظيمة لتكون ركيزة نهضة الأمة وأساس رقيها، فماذا أنت فاعلٌ في عامك الدراسي هذا؟ اغرس في نفوس طلابك القناعات الحميدة، والفكر المنهجي السليم، ومكارم الأخلاق، والعلوم المؤصلة، والقيم النبيلة؛ لتذكر بالخير في كل حين، ويقال: هذا مَنْ شكل بوصلة أولادنا وكان سبباً في تفوقهم. أنت يا مَنْ حملت ميراث الأنبياء؛ هنيئاً لك وصف نبيك ﷺ: (فضلُ العالم على العابد كفضلي على أدناكم) وقوله: (إن الله وملائكته وأهل السماوات والأرضين حتى النملة في جحرها وحتى الحوت ليصلون على معلم الناس الخير)^(١).

كن أول مَنْ يبني جيل التمكن، الجيل الذي يُحدث الفرق في مجتمعه، ويكون أساس الإصلاح والعمران والنهضة في بلده، والدواء الشافي لجراح أُمته، استعن بالله ولا تعجز، واحمل همَّ رسالتك، واسع في إصلاح الأوضاع بما تستطيع، فأنت في مقام تكليف، ولن تذوق شرفه إلا إذا أديت حقه.

لسان حالك يقول: تعبتُ من شدة التضييق من مجتمعي وضيق الحال، ولا أقول لك: اصبر على هذا الواقع فقط، بل أقول: كن شريكاً في التغيير، كن أول مَنْ يؤسس لجيلٍ ومجتمعٍ يُعطى فيه المعلم

فالرعاية بناءً عقديّ متين، وتأسيس فكريّ متوازن، وتشكيل لشخصية فاعلة، وتحسين نفسيّ ثابت.

ابنتك وابنتك جوهرة بين يديك، فاحرص على تقديم كل الدعم والرعاية حتى ينشؤوا نشأة سليمة متعافية، ناضجة بالعلم والفهم والفكر والإدراك والمعرفة.

ما أشبه حال طفل مدلل اليوم بحال المعتصم بالله ابن هارون الرشيد، فقد رُوي أَنَّ الخليفة العباسي -المعتصم بالله- لم يدرس في الكتاب كأخويه الأمين والمأمون، وفي كبره كان يلحن في الكلام، وله لحن في الحديث، وهذا ما يُعاب على العرب عموماً، وذوي الهيئات على وجه الخصوص، وكان يرد اللوم على أبيه هارون الرشيد؛ فيقول: «أضر بنا حب هارون!». ففي أحد الأيام سأله هارون الرشيد عن صاحب له يُرافقه إلى الكتاب، فقال المعتصم: مات واستراح من الكتاب! فقال هارون: وبلغ بك بغض الكتاب هذا المبلغ؟! اجلس، والله يا بني لا تذهب بعد اليوم إلى الكتاب، وأشفق عليه، ووافقه في مراده، وتركه يلعب ويلهو؛ فكانت النتيجة ضعفاً في النطق ولحناً في القول.

أيها الآباء، كثيرٌ من المنع عطاء، لكنكم تستعجلون الرحمة بدافع المحبة والإشفاق، فتهدمون بُنيان أطفالكم، وتنقضون غزلكم، وتميتون زرعكم.

من زاوية أخرى: لا تظننَّ أَنَّ الرزق بيدك، فتقول لا أملك ثمن تعليم أولادي، بل نحن أسبابٌ لإيصال رزقهم لا أكثر، وتعليمهم ورفع الجهل عنهم واجبٌ علينا، وهو خير سلاح يعينهم على وعناء الطريق ومشقة الحياة وتحدياتها، فإذا أردت أن يكون لأولادك شأنٌ؛ فلا يضررك أن تشدَّ عليهم في الصغر، أو أن تلزمهم بما ينفعهم في الكبر، وإن هاجت عواصف المشاعر في قلبك.

وفي هذا المقام يحسن أن نتوقف عند تحدٍّ آخر يتعلق بالقرآن وحلقاته وأثرها على تحصيل الطالب الدراسي، فمن أقنعكم أيها الآباء أَنَّ انقطاع الطلاب عن حلقات القرآن الكريم وتعلم ما لا يسعهم جهله من علوم الشريعة والدين لمجرد بدء الدراسة أمرٌ سليمٌ؟! إنَّ هذا الوهم لا يزيد إلا في ترسيخ الخرافة القائلة أَنَّ حلقات القرآن عائق عن التفوق الدراسي،

(١) أخرجه الترمذي (٢٦٨٥).

لن تُبنى الأوطان إلا ببناء الإنسان، ولن
تُعالج أمراض المجتمع إلا برفع الجهل
وتحصين العقول

وختام هذه الرسائل رسالة إلى المجتمع:

إنَّ ثقافة الاكتفاء بإشباع البطون وتأمين
المواد الاستهلاكية، مع تكريس حالة الاتكالية لدى
أفراد المجتمع؛ لا تزيد المشكلة إلا تعقيداً، انطلقوا
بالمشاريع المستدامة وتمكين الجيل بالأدوات
والمهارات التي تمكّنهم من الإنتاج والعطاء.

اعتنوا بالمدارس والمحاضن التربوية، أعطوا
المعلم حقه من التقدير والاحترام والكفاية؛ فهو مَنْ
يحمل عنكم عبء التأهيل وهم التربية والبناء.

ووالله لن تُبنى الأوطان إلا ببناء الإنسان، ولن
تُعالج أمراض المجتمع إلا برفع الجهل وتحسين
العقول، لا معدل الجريمة وتعاطي المخدرات
سينخفض، ولا بطالة الشباب ستزول، ولا
الانحرافات الفكرية والغلو العقدي سيموت؛ إلا
بالعلم.

ولن يحصل التراحم ويُعاد التناغم بين النسيج
المجتمعي ويحقق التكافل الاجتماعي إلا باستشعار
أهمية المحاضن التربوية، فهي خير معين لإحداث
حالة وعي يقلل من الأحقاد، ويحدث حالة تناغم
بين الأفراد، ويستثمر التنوع في الطاقات؛ فتزدهر
به جنبات المجتمع، وتنتقل من حالة العوز وطلب
العون إلى طور التعافي الذاتي، فهي البركة بأهلها
وأرضها.

استعينوا بطاقات بعضكم لنُرجع كل أولادنا
إلى المدارس، ونؤهلهم تأهيلاً أكاديمياً؛ يستشعرون
من خلاله مسؤوليتهم تجاه مجتمعهم ودينهم،
هذا جهدنا -يا رب- في جيل نسعى لبنائه، صالحاً
في ذاته، مصلحاً لمجتمعه، خادماً لدينه.

استعملنا يا ربّ في خدمة دينك على الوجه الذي
يرضيك عنا، وارزقنا البركة والحكمة، وألهمنا
رشدنا، واربط على قلوبنا في هذه الأيام الصعاب
لنتجاوزها وقد حققنا مفهوم الاستخلاف الذي
أوجدتنا في هذه الدنيا لتحقيقه.

حقّه ومكانته بشكل صحيح: حقه في الاحترام
والتقدير، وحقه في البيئة التعليمية التي تمكنه من
أداء رسالته، وحقه في التقدم والرقي الوظيفي،
وحقه في المكانة اللاتقة التي تُعيده إلى مقامه
الطبيعي: مقام المعلم الذي هو وارث الأنبياء.

أيها المربي: كن أول مَنْ يبني جيل
التمكين، الجيل الذي يُحدث الفرق
في مجتمعه، ويكون أساس الإصلاح
والعمران والنهضة في بلده، والدواء الشافي
لجراح أمته

والرسالة الثالثة لكم أبنائي وبناتي:

زهرة الفؤاد وريحانة قلوب آبائكم وأمهاتكم،
أقول لكم ما قاله لنا سلفنا الصالح: إذا أردتم
الدنيا فعليكم بالعلم، وإذا أردتم الآخرة فعليكم
بالعلم، وإذا أردتموهما معاً فعليكم بالعلم، فإله
تعالى أخبركم في محكم تنزيله: ﴿يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا
مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾ [المجادلة: ١١]،
فهنئاً لمن ارتقى في رضا الرحمن وثابر وحصل من
العلوم أشرفها، وعلم أن الدنيا لا تعمّر إلا بالعمل؛
فصابر وصبر، وعلم أن الأجر على قدر العناء
والمشقة.

العلم لا يعطيك بعضه إلا إذا أعطيته كلّك، فإن
أعطيته بعضك لم يعطك شيئاً.

لقد قدّم الله ذكر تعليم القرآن على خلق الإنسان،
ثم أتبع الخلق بتعليم البيان في قوله: ﴿الرَّحْمَنُ ۙ عَلَّمَ
الْقُرْآنَ ۚ خَلَقَ الْإِنْسَانَ ۖ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾ [الرحمن:
١-٤]؛ ليبين لنا أن وجود الإنسان مرتبط بالعلم
من أوله إلى آخره، ومن لم يتعلم لم يعرف معنى
خلقه وسبب وجوده في هذه الدنيا.

أيها الطلاب: إذا أردتم الدنيا فعليكم
بالعلم، وإذا أردتم الآخرة فعليكم بالعلم،
وإذا أردتموهما معاً فعليكم بالعلم



صنع القرار السياسي: خصوصيته وقيمه

د. مكارم بديع الفتحي^(*)

القرار السياسي عملية معقدة ترتبط بتشابك العوامل الداخلية والخارجية، ويمثل أداة حاسمة في تحقيق الأمن والتنمية والاستقرار، ويختلف عن القرار الإداري بكونه أشمل وأعمق تأثيراً، وتتحكم فيه أبعاد شخصية ونفسية لصانع القرار بجانب المعطيات الموضوعية، كما تحكمه قيم أخلاقية ودينية أكدها الإسلام؛ ما يجعله صيرورة أخلاقية قبل أن يكون إجراءً سياسياً مجرداً، والحاجة ماسة لتطوير نظريات معاصرة تعزز فعاليته وتضمن خدمة مصالح الشعوب والدول.

مقدمة:

الشعبية؛ لذلك اتجه العديد من صانعي القرار السياسي وقادة الدول إلى إنشاء وحدات مساندة لصناعة القرار مرتبطة بهم مباشرة، لتساعدهم في الوصول إلى المعلومات الدقيقة وتحليلها.

بالمقابل فإن تطور وسائل الإعلام من الفضائيات ووسائل التواصل الاجتماعي أفرزت جيشاً من المحللين السياسيين، يحاولون تقديم التحليل السياسي لكل من المتلقي ليفهم آلية وأسباب اتخاذ القرار، ولصاحب القرار لتساعده على اتخاذ قرار سليم.

يرى الكثيرون أن من أعقد الظواهر الإنسانية والمجتمعية: الظاهرة السياسية؛ لذا يصعب تحليلها وفهمها ودراساتها وبحثها، ويعتبر اتخاذ القرار في أي مجال من مجالاتها هو أكثر أنواع اتخاذ القرار دقة وتأثيراً.

وفي عالم أصبحت فيه الأحداث شديدة التسارع شديدة التداخل والتعقيد؛ أصبح فهم وتحليل عملية اتخاذ القرار شديد الأهمية والإلحاح بالنسبة للبحث العلمي والممارسة السياسية والتطلعات

(*) باحث في علم النفس السياسي، دكتوراه في العلاقات الدولية من جامعة كارابوك - تركيا.

جوانبها، وتطرح البدائل المختلفة، وتحدد الأولويات والمصالح على المستويين الداخلي والخارجي؛ إضافة إلى الاهتمام بردود الفعل والآثار المترتبة عليه، سواءً على الصعيد المحلي أو الإقليمي أو الدولي^(٣).

عملية صنع القرار هي مجموعة من العمليات العقلية وأحياناً الممارسات السلوكية التي تنتهي باتخاذ القرار، وبهذا فإن عملية صنع القرار هي أكثر اتساعاً من القرار نفسه؛ لأن القرار تعبير عن المخرجات التي ترتبط بالموقف، أما عملية صنع القرار فهي كل ما يرتبط بالموقف من مدخلات ومخرجات، فضلاً عن التفاعل بينها^(٤).

وأي قرار تقوم السلطة السياسية الحاكمة بإصداره يوصف بأنه سياسي - كما أشرنا سابقاً - سواء كان داخلياً أو خارجياً، وغالباً ما يكون له تأثير شامل على مختلف المجالات في الدولة، كالمجال الاقتصادي، أو الاجتماعي، أو العسكري، أو غير ذلك.

العلاقة بين القرار الإداري والقرار السياسي:

القرار الإداري هو أحد أشكال القرار السياسي الأساسية، ولكن القرار السياسي يكون أكثر شمولاً من القرار الإداري، والقرار الإداري هو الشكل التنفيذي للقرار السياسي، وهذا تمييز مهم؛ لأن غالبية الناس يعتبرون القرار الإداري الصادر عن جهة سياسية هو القرار السياسي.

والمقصود بالقرار الإداري هنا: هو القرار الذي يصدر عن الدولة ويوضع في حيز التنفيذ، وعادة ما يرى الناس القرار الإداري أكثر من رؤيتهم لعملية صناعة واتخاذ القرار السياسي، فمثلاً: إصدار قرار حول منع استخدام السلاح دون ترخيص هو قرار إداري، يكمن خلفه قرار سياسي، ويكمن خلف هذا القرار عملية صناعة واتخاذ القرار. كذلك فإن السماح بتأسيس وترخيص الأحزاب هو قرار إداري، يكمن خلفه قرار سياسي وخطوات في عملية اتخاذ القرار.

لكن كثيراً من القرارات السياسية ليست ذات طابع إداري، بمعنى أن مسائلها وأدواتها لا تمر عبر إصدار قرار إداري مباشر، وإن كان اتخاذ

ونحن في هذه المقالة نحاول أن نذكر الجميع أن هذا الموضوع يحتاج إلى التداعي للتبصر فيه وزيادة الوعي والرشد، خاصة وأن المنطقة العربية والإسلامية مقبلة على متغيرات هائلة.

الإطار المفاهيمي لمعنى القرار السياسي:

تحمل كلمة «قرار» في طياتها عمقا لغوياً وفكرياً يعكس أهمية هذه المفردة في الدلالة على مضمونها، فهي لفظ يعبر عن الاستقرار والثبات؛ فكلمة القرار في اللغة العربية مصدرها اللغوي قَرَّ، بمعنى المستقر، أو ما قَرَّ عليه الرأي من الحكم في مسألة ما، ومنه قرار الحكومة أو قرار المحكمة.

كما تعني قَرَّ في الشيء؛ أي حصل فيه السكن والسكون، وصار إلى قراره وانتهى وثبت، ومن ذلك يمكن تعريف القرار لغوياً بأنه: «ما ينتهي إليه الشيء ويستقر عليه»، أي القرار هو النهاية المستقر عليها^(٥).

وقد ورد لفظ القرار في العديد من الآيات في القرآن كقوله تعالى: ﴿فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ مَكِينٍ﴾ [المرسلات: ٢١]، وقوله: ﴿جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا وَيَنْسِفُ الْقُرْآنَ﴾ [إبراهيم: ٢٩]، وغيرها.

أما بالنسبة للقرار اصطلاحاً فلا يوجد اتفاق على تعريفه، لكن هناك شبه إجماع على أن عملية اتخاذ القرار هي عملية عقلية معرفية يتم من خلالها الموازنة بين المصالح والمفاسد، بمعنى تحصيل أكبر قدر من المصالح، ودرء أكبر قدر من المفاسد.

ويصبح القرار سياسياً، إذا كان من يتخذ القرار شخصاً ذا صفة سياسية أو أن القرار قد اتخذ من قبل أحد أجهزة السلطة السياسية، أو أنه مُنصبٌ على موضوع يتعلق بالسياسة العامة للدولة، بمعنى صدوره عن سلطة قانونية^(٦).

عملية اتخاذ القرار - كما ورد في التعريف اللغوي - هي استقرار للرأي، فهذا يدل على أنها صيرورة ومسار، والقرار السياسي بالتالي لا يأتي إلا بعد عملية بحث تفصيلية دقيقة ودراسة معمقة، تُدرس فيها المشكلة بشكل وافٍ من جميع

(١) صناعة القرار السياسي في الدولة الإسلامية الأولى، رسالة ماجستير، لغواز السعيد، جامعة الشرق الأوسط، الأردن، ٢٠١٤م، ص (٢٢).

(٢) القرار السياسي ماهيته - صناعته - اتخاذه - تحدياته، لبهاء الدين مكاوي، سلسلة كتيبات برلمانية، لمعهد البحرين للتنمية السياسية، البحرين، ٢٠١٧م، ص (١٠).

(٣) صناعة القرار السياسي، لزهرة صالح، سلسلة كتيبات برلمانية، لمعهد البحرين للتنمية السياسية، البحرين، ٢٠١٦م، ص (٩).

(٤) صنع القرار السياسي الأمريكي، ياسين محمد حمد العيثاوي وأنس كرم محمد صبحي، مجلة مداد الآداب، العدد السابع، ص (٢٩٣).

السياسية، أو تحقيق أهداف تيار سياسي ما، أو تعزيز شعبية قائد دولة ما.

وهناك العديد من الوظائف العامة والأهداف التي يصبح معها القرار السياسي ضرورة لا مفر منها، كما في الأهداف الأساسية الآتية:

- تحقيق المصلحة الوطنية والحفاظ على أمن الدولة واستقرارها وتعزيز الوحدة الداخلية.
- حماية الدولة من التهديدات الداخلية والخارجية، عبر تقوية الأجهزة الأمنية وتحالفات الردع والدفاع، وجميع القرارات التي تحقق هذا الهدف المركزي.
- تحقيق التنمية الشاملة ورفع مستويات المعيشة وتنويع إيرادات الدولة.
- العناية بالتعليم بجميع مراحله، ورفع مستواه وتطويره ورفع كفاياته والمنافسة الدولية فيه.
- ضمان العدالة الاجتماعية، والتوازن بين السلطات.
- إدارة العلاقات الدولية من خلال التحالفات، ومواجهة الضغوط الدولية.
- تعزيز ثقة المواطنين في النظام السياسي واحترام القانون وحقوق الإنسان.
- الاستجابة السريعة للآزمات والتحديات في حالات الكوارث الطبيعية، أو الأزمات الاقتصادية أو أي أزمة تهدد الدولة.
- بناء وتعزيز الأمن الصحي ورفع قدرة الدولة على الرعاية الصحية للمواطنين، خصوصاً في الأوبئة والكوارث.
- دعم الهوية الوطنية وقيم وأخلاق المجتمع.
- الحفاظ على التواصل المستمر بين الدولة والمواطن وتعزيز الولاء الوطني والالتزام بالنظام العام، وحفظ الحقوق الوطنية والمدنية.

وبلا شك لا تتوقف أهداف ووظائف القرار السياسي عند هذه الحدود، فقد تطورت بسرعة تطور أدوار ووظائف الحكم السياسي للدول، فأصبح القرار السياسي متأثراً بسرعة التطور التقني في القرن الواحد والعشرين، وما أفرزه من مشكلات سياسية معقدة، حيث أصبح من وظائف القرار السياسي: حماية الدولة من أخطار أدوات

القرارات الإدارية هي الوسيلة الأكثر وضوحاً لشكل القرار السياسي.

هذا التمييز مهم لمن يريدون أن يؤثرُوا على قرارات الدول والحكومات من خلال أدوات التأثير المعروفة، وهذا التمييز له خصوصية في أدبيات القرار السياسي وتأثيراته على شعبية الأحزاب في الدول الديمقراطية، وأياًها يكون أكثر تأثيراً على قرارات وتوجهات الحكومة.

ولا بد من الإشارة إلى أن للقرار السياسي مستويات عدة، لكن غالباً ما يتم اتخاذه من قبل القيادة العليا في البلاد، وهو بالتالي يحدد مصير ومسار قضايا سياسية واستراتيجية للدولة، كأن تتخذ القيادة قراراً بإجراء مؤتمر وطني عام للدولة لمناقشة قضايا جوهرية، خاصة في الدول التي تمر في المراحل الانتقالية بعد الحرب، أو قرار سياسي على مستوى رفيع بتعديل الدستور أو تغييره أو إعادة كتابته.

وتتميز القرارات الاستراتيجية بأنها تخضع لمشاورات وخطوات أكثر، وتعتمد عادة على دراسات وأبحاث، وتؤخذ فيها آراء الخبراء بشكل أوسع من مثيلاتها غير الاستراتيجية؛ نظراً لأهميتها وتناولها لنطاقات مستقبلية بعيدة، ولعدم وضوح كثير من المعطيات فيها، بخلاف غيرها من القرارات فهي في الغالب واضحة المعطيات والنتائج.



تتميز القرارات الاستراتيجية بأنها تخضع لمشاورات وخطوات أكثر، وتعتمد عادة على دراسات وأبحاث، وتؤخذ فيها آراء الخبراء بشكل أوسع من مثيلاتها غير الاستراتيجية؛ نظراً لأهميتها وتناولها لنطاقات مستقبلية بعيدة، ولعدم وضوح كثير من المعطيات فيها، بخلاف غيرها من القرارات فهي في الغالب واضحة المعطيات والنتائج

أهداف القرار السياسي:

باعتبار أن القرار السياسي في الدولة يمكن أن يؤثر في مصيرها في قضايا سياسية واستراتيجية، فإن دراسة وتحليل وظائف القرار السياسي العامة وأهدافه تعتبر نقطة انطلاق لفهم كيفية صناعة القرار السياسي، وكيفية استثماره في الصراعات

وتكون مأساة الشعب كبيرة حينما تغلب على صانع القرار نفسه ونزواته، وحينما يعكس إصداره لقراراته عُقده الشخصية وأمراضه النفسية، أو حينما يتسلم زمام الأمر من هو غير جدير بالمسؤولية الملقاة على عاتقه.

وعملية اتخاذ القرار تكاد تكون أكثر خطورة وحساسية في المنطقة العربية؛ لما عليها من الضغوط والتحديات، ويمكن القول إن عملية اتخاذ القرار في هذه المنطقة هي عملية حياة أو موت لدول المنطقة وبنائها المجتمعية، لكن بالمقابل يبدو أن صانع القرار العربي هو الأقل اهتماماً بتطوير وتفصيل مؤسسات اتخاذ القرار، فهو ما يزال ينظر إلى أنه وحده يمتلك كل مهارات اتخاذ القرار، وأنه لا يحتاج إلى خبراء أو شركاء في أثناء اتخاذه لقرار، وبالتالي لا داعي لتطوير هذه العملية أو تحسينها أو تغيير طرق اتخاذه.

معظم الدراسات تؤكد على أهمية العوامل النفسية والشخصية؛ حيث لها الأثر الأكبر في صناعة القرار وجودته، ومدى القوة التي يتميز بها، وهي من العوامل التي قد لا تظهر مع بدايات الأحداث والأزمات السياسية، ولكنها تكشف عن نفسها عند تعرض صانع القرار لمواقف تتسم بضغط نفسي شديد

مسار صناعة القرار السياسي:

أما ما يتعلق بصيرورة ومسار صناعة القرار السياسي، فإن عملية صنع القرار السياسي تبدأ بإدراك صانع القرار لمشكلة أو حدث أو أزمة يتطلب ضرورة مواجهتها بما يكفل تحقيق الأمن أو حماية مصالح الدولة، ومن هنا تبدأ القصة، قصة شخصية صانع القرار وتأثيره على مصير شعبه، فمن خلال خبرته، ووعيه السياسي، وموقفه الأخلاقي، يستطيع أن يدرك وجود المشكلة ونوعها ودرجة خطورتها^(١).

ويصبح السؤال الكبير: كيف يمكن اتخاذ قرار يحفظ سيادة الدولة وكيانها في سياق مليء

الصراع السياسي التي تستخدم آخر ما وصلت إليه تقنيات الصناعة العسكرية والتجسس بشتى صورها، وليس آخرها: ضرورة اتخاذ قرارات لمواجهة الجرائم الإلكترونية، التي تشنها عصابات دولية منظمة.

عملية صنع القرار السياسي واتخاذ:

مع تطور أهداف ووظائف القرار السياسي وأدواره أصبح ملحوظاً تعقد عملية صنع القرار السياسي، نظراً لظهور الحاجة إلى تعدد وتطور الجهات التي تتخذ القرار وتعهده، وقد أصبح اتخاذ القرار مرتبطاً بأجهزة عديدة في الدولة، تقوم بالإعداد والتجهيز لصنع القرار واتخاذها، ومتابعة تنفيذه، وتقييم مدى نجاحه في تحقيق الأهداف المرجوة.

وعملية صنع القرار السياسي -كما أشرنا- بطبيعتها عملية معقدة وتحتاج إلى الكثير من الدقة والتوازن، حيث تتأثر بالعديد من العوامل التي يغلب عليها التداخل والتشعب، منها الواقع الجيوسياسي للدولة، وعناصر القوة للدولة وما يتوفر لها من هذه العناصر، إن كان في الجوانب الاقتصادية أو الشعبية؛ إذ تمثل الخصائص النفسية والاجتماعية للشعب عاملاً متصاعداً الأهمية والتأثير في السنوات الأخيرة، على قوة الدولة وطبيعة القرار السياسي فيها.

أما العوامل الشخصية والنفسية والثقافية لصانعي القرار، فهي قضية تمثل مركز الثقل في علم النفس السياسي المعاصر لفهم تأثيرهم على مصير الدول، وتحليل البيئة الاجتماعية التي عاشوا فيها، وتكوينهم السياسي، واندماهم الحزبي، وتجاربهم وخبراتهم السابقة، وقدراتهم الشخصية، ومدى قبولهم جماهيرياً.

ولا بد من الإشارة إلى أن معظم الدراسات تؤكد على أهمية العوامل النفسية والشخصية؛ حيث إن لها الأثر الأكبر في صناعة القرار وجودته ومدى القوة التي يتميز بها، وهي من العوامل التي قد لا تظهر مع بدايات الأحداث والأزمات السياسية، ولكنها تكشف عن نفسها عند تعرض صانع القرار لمواقف تتسم بضغط نفسي شديد.

(١) قد يكون صانع القرار هو صاحب القرار نفسه أو تحت إشرافه المباشر، وقد يكون هيئة خبراء أو لجنة أو مركز دراسات أو وزارة من الوزارات، والجانب الشخصي المذكور يغلب في حال كان صاحب القرار هو صانع القرار، أما في حالة صناعة القرار في إطار مؤسسي، فالجوانب الشخصية تتراجع كثيراً ويتقدم الجانب الموضوعي، ويبقى الجانب الشخصي في اللمسات النهائية للقرار وحيثياته.

من زاوية أخرى، من المهم لصانع القرار أن يكون قد تدرب على اتخاذ القرار، وفق قواعد وأسس وعمليات متقنة، وبأعلى جودة وكفاءة، وفقاً لأحداث أسس اتخاذ القرار في العالم، وإلا فالقرار السياسي سوف يكون محصلة تخطيط جهل متخذة، ووفقاً لرغباته وأفكاره الذاتية، ودون شك فإن لهذا نتائج الوخيمة.

أي إن عملية اتخاذ القرار هي تكامل الأخلاق والعلم، بعد أن يتم ضبط القيم الأخلاقية، ويتم التشدد في التزام صاحب القرار بها، بل التشدد في ضرورة مراقبة المواطن لصانع القرار أثناء عملية صنع واتخاذ القرار.

حساسية القرار السياسي وعظيم أثره تحت العناية بالبيئة التي تتم فيها صناعته، فلا بد من سلامة البيئة القانونية التي تعطي الشرعية القانونية للقرار؛ فليس كل قرار له شرعية، وهنا تبرز الحاجة للمستشارين والخبراء القانونيين الذين يصححون الأفضية التي يستند إليها القرار

مراحل صناعة واتخاذ القرار السياسي:

من المهم في الجانب العملي على صاحب القرار أن يطلع على أفضل النظريات حول مسارات وتقنيات عملية اتخاذ القرار، التي تمر بتحديد المشكلة وجمع المعلومات البسيطة والعميقة، عبر أجهزة جمع المعلومات والبيانات والأرقام والإحصاءات التي توفرها أجهزة الدولة الثقة، أو عبر المعلومات الاستخباراتية شديدة الدقة وشديدة الخصوصية.

ثم ينتقل ليحدد البدائل والخيارات المتاحة، ودون شك فإن تحديد البدائل يضع صاحب القرار أمام التحدي الأول في عملية اتخاذ القرار، الذي يستوجب استدعاء خبرته السابقة، وتجربته السياسية العميقة، ورؤيته نحو الوطن أخلاقياً وفكرياً، كل ذلك من أجل تقييم البدائل، وغربة ما لا يمكن اعتماده، بل ما يجب رفضه بروح القائد الذي يحمي وطنه، وشعبه ودولته، وإبقاء ما يمكن أن يكون خياراً مناسباً أخلاقياً ودينياً ووطنياً.

بالقيود والضغوط؟ وهنا يكون القرار -قبل مناقشة مساراته وطريقة اتخاذه- مرة أخرى أمام تحدي قيم صانع القرار وخبرته، فالشجاعة والالتزام الأخلاقي هي التي تحدد جدية تعامله مع هذا السؤال؛ إذ عملية اتخاذ القرار السياسي -في جوهرها- صيرورة أخلاقية، لأنه يتعلق بها مصير المواطن الكريم، والدولة العتيدة، حين يقرر القائد قراره فهو بلا شك يغير مصائر الناس، الأفراد والأسر، فهو لا يقرر مواقف متعلقة بخبر إعلامي هنا، أو بروتوكول سياسي هناك.

حساسية القرار السياسي وعظيم أثره تحت العناية بالبيئة التي تتم فيها صناعته، فلا بد من سلامة البيئة القانونية التي تعطي الشرعية القانونية للقرار؛ فليس كل قرار له شرعية، وهنا تبرز الحاجة للمستشارين والخبراء القانونيين الذين يصححون الأفضية التي يستند إليها القرار.

ولا بد للقرار من القبول؛ فالقرار المرفوض من الجماهير سيكون وبلاً عليهم أو على صاحبه، ولذلك لا بد من تهيئة الرأي العام لتقبل القرار، من خلال أدوات التأثير المعروفة.

ومراعاة البيئة الخارجية ضروري أيضاً، ويعني رصد رأي الحلفاء الدوليين والإقليميين في القرار ودراسة مدى تأثر علاقات الدولة بمحيطها الإقليمي بعد هذا القرار، خصوصاً فيما يتعلق بالسياسات الخارجية.

لذا نجد أن القرار السياسي في الإسلام له قيمه الدينية، وأخلاقه السياسية، وأحكامه الشرعية، التي جعلها الإسلام على رأس مقاصده.

القرار السياسي ليس مجرد قرار، بل هو محصلة أخلاق وقيم وفهم شرعي وإنساني عميق، وليس مجرد فكرة في كتاب للفلسفة السياسية، أو كتب الممارسات السياسية، التي تعتقد أن صناعة القرار منظومة خطوات يتم الاستعانة بدليل لتنفيذها، وأنها مراحل يتم التدريب عليها.

وإذا قارنا بين الآيات التي تمدح المؤمنين: ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ﴾ [الشورى: ٣٨]، وعلى لسان بلقيس ملكة سبأ: ﴿يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّى تَشْهَدُون﴾ [النمل: ٢٢]، وبين موقف فرعون: ﴿مَا أَرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾ [غافر: ٢٩]، اتضح لنا شيء من التوجيه القرآني لصاحب القرار وصانعه.

الخاتمة:

وفي خلاصة ما سبق لا بد من التأكيد على أن قيم اتخاذ القرار وأخلاقه لم يحتف بها أحد كما احتفى بها الإسلام، وإذا ما تابعت القرآن الكريم بدقة وتدبر تجد أن هذا الكتاب العظيم يرسم لك الأسس الأهم والأعمق لاتخاذ القرار في حياتك كمسلم، إن كان حياتك اليومية، أو الاجتماعية، أو السياسية. والقرآن الكريم يذكر آيات صريحة، ومخصصة لضوابط ومعايير اتخاذ القرار، كما أن القرآن الكريم يزخر بالآيات التي يمكن أن يتم الاستدلال عبرها لاستكمال صورة وصيرورة منهج متكامل لعملية صنع القرار السياسي.

وكم نحن بحاجة إلى أبحاث معمقة تكون جزءاً لا يتجزأ من السياسة الشرعية، هذا العلم الذي فتح بابيه فقهاء أجلاء^(٢)، وضعوا فيه محددات ومعايير وأحكام اتخاذ القرار السياسي، المنسجمة مع الدول في ذلك الزمان، ولكن الواقع الحالي أصبح بحاجة إلى مواصلة الدرب لبناء نظريات ومنهجيات اتخاذ القرار السياسي وفق احتياجات الواقع، وشكل الدولة المعاصرة، وتطور أشكال الصراع السياسي، وأنماط قوة الدول، وتقنيات حماية مؤسساتها.

وهذا سوف يكون له الأثر في إنقاذ الأرواح وحفظ مصالح الأمة والأفراد، ولذلك لا بد من العمل البحثي العلمي المنظم والخير، بهدف إنتاج نظرية أكثر تكاملاً في العلوم السياسية والنفسية، تمثل النظرية الإسلامية في اتخاذ القرار السياسي، وشروطه، ومعايير وأدواته، وتحدد رؤيتها تجاه مواصفات صانع القرار السياسي المعاصر، وعلاقة صناعة القرار بالاستراتيجية والذكاء الاستراتيجي، وبالتالي سد الثغرة الاستراتيجية في الدول العربية والإسلامية، من أجل ألا تكون مقولات «عالمية الإسلام وقدرته على حل المشكلات في كل مكان وزمان» مجرد رؤى وأفكار نظرية، قصر أهلها في تحويلها إلى واقع معاش.

من ثم يقوم باختيار الأكثر دقة والأكثر ديمومة والأكثر قبولاً شعبياً ووطنياً، وبهذا يكون على القائد في هذه المرحلة أن يستنفر كل قدراته النفسية والعاطفية من أجل اتخاذ القرار الأكثر شجاعة والأكثر صلابة في إطار من العلم والحكمة، ضمن أعظم قاعدة في اتخاذ القرار: القوة، ﴿يَايَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآتِنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا﴾ [مريم: ١٢]^(١).

هنا تبدأ مرحلة تنفيذ القرار عبر جميع الوسائل التي يحتاجها هذا القرار، إن كانت وسائل دبلوماسية، أو عسكرية، أو اقتصادية، بالقوة الناعمة، أو القوة الخشنة، وإن كان يحتاج إلى تجييش قدرات الدولة كلها ووضعها على أهبة الاستعداد، أو أن هذا القرار يمكن تنفيذه من خلال بعض مؤسسات الدولة دون مبالغة أو إثارة التحفز والتشنج في المجتمع، وهذا بحد ذاته خبرة ودقة وتجربة في اتخاذ القرار ودقة التنفيذ، فكل مبالغة تنعكس تأثيراتها سلباً، كما أن كل تقاعس تنعكس تأثيراته سلباً.

من الأخطاء الفادحة في بعض الدول أنه في الوقت الذي تحتاج بعض القرارات لتنفيذها إلى تهدة تقوم بعض مؤسسات الدول العربية بالتصعيد، ورفع الخطاب الإعلامي، ظناً منها أن هذه هي الشجاعة المطلوبة، والعكس بالعكس، ظناً منها أن هذه هي الحكمة المطلوبة.

ثم تأتي مرحلة تقييم القرار، حيث يتم في هذه المرحلة تقييم ردود الفعل الداخلية والخارجية ومقارنة النتائج الفعلية مع النتائج المتوقعة^(٣)، ولعل هذه المرحلة المفقودة من أغلب القرارات لدى السياسيين في العالم؛ لأنها غالباً ما تكون مؤلة ومكلفة لهم، لذا يتغاضون عنها.

من الأخطاء الفادحة في بعض الدول أنه في الوقت الذي تحتاج بعض القرارات لتنفيذها إلى تهدة، تقوم بعض مؤسسات الدول العربية بالتصعيد، ورفع الخطاب الإعلامي، ظناً منها أن هذه هي الشجاعة المطلوبة، والعكس بالعكس، ظناً منها أن هذه هي الحكمة المطلوبة

(١) وقد فسر المفسرون القوة بالجد والحرص والاجتهاد.

(٢) دور المعلومات في عملية صنع القرار السياسي، مريم بن زادي والعربي بن داوود، المجلة الجزائرية للعلوم الإنسانية والاجتماعية، المجلد ٣، العدد ٢، ديسمبر ٢٠١٩م، ص (٧٤).

(٣) مثل الجويني والماوردي وأبي يعلى وابن تيمية وابن القيم وابن فرحون وابن جماعة وغيرهم.

دور الحسبة في تعزيز القيم المجتمعية

د. محمد ماهر محمد قدسي^(*)

يهدف هذا المقال إلى دراسة الحسبة باعتبارها مؤسسة إسلامية أصيلة أسهمت عبر العصور في ضبط السلوك العام وتحقيق التوازن الاجتماعي، ويتناول جذورها التاريخية وتطورها المؤسسي، مع إبراز وظائفها الرقابية والتنظيمية في الأسواق والمهن والأخلاق العامة. كما يوضح أثرها في تعزيز القيم المجتمعية في السياقات المعاصرة، مع مناقشة التحديات التي تعترضها، واقتراح سبل تطويرها بما يتناسب مع المتغيرات القانونية والتقنية الحديثة.

مفهوم الحسبة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

تعريف الحسبة:

الحسبة في اللغة تعني الاحتساب، أي القيام بشيء طلباً للأجر والثواب، جاء في (لسان العرب): «الحسبة مصدر احتسابك الأجر على الله، تقول: فعلته حسبة، واحتسب فيه احتساباً، والاحتساب طلب الأجر... وفي الحديث: (مَنْ مَاتَ لَهُ وَلَدٌ فَاحْتَسَبَهُ)^(١) أي: احتسب الأجر بصره على مصيبيته به... واحتسب بكذا أجراً عند الله، والجمع الحسبُ، وفي الحديث (مَنْ صَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا)^(٢) أي: طلباً لوجه الله تعالى وثوابه»^(٣).

المقدمة:

تُعَدُّ الحسبة من المفاهيم الإسلامية العريقة التي تهدف إلى تحقيق التوازن المجتمعي من خلال تعزيز القيم الأخلاقية والعدالة الاجتماعية. وقد كانت الحسبة وما تزال أداة قوية للإصلاح المجتمعي؛ حيث تسهم في تنظيم حياة الأفراد، والحد من الفساد، وضمان الالتزام بالمعايير الدينية والأخلاقية والمهنية. يهدف هذا المقال إلى استعراض مفهوم الحسبة، ودورها في التغيير المجتمعي عبر العصور، مع التركيز على أهميتها في العصر الحديث، والتحديات التي تواجهها.

(*) عضو هيئة تدريسية برتبة (أستاذ)، دكتوراه بمرتبة الشرف الأولى من جامعة القاهرة.

(١) ينظر: صحيح مسلم (١٢٤٨).

(٢) أخرجه البخاري (٣٨) ومسلم (٧٦٠).

(٣) لسان العرب (٣١٤/١-٣١٥).

ومعنى النهي عن المنكر: التحذير من إتيانه وفعله، مع التنفير منه والصد عنه، وقطع أسبابه وسبله بصورة تقتلعه من جذوره، وتطهر منه الحياة جميعاً. والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مبدأ أجمع على وجوبه المسلمون^(٣).

الحسبة هي: أمر بالمعروف إذا ظهر تركه، ونهي عن المنكر إذا ظهر فعله، وإصلاح بين الناس، وكان أئمة الصدر الأول يباشرون الحسبة بأنفسهم لعموم صلاحها، وجزيل ثوابها

أهمية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أهمية كبيرة في الإسلام، بل عده بعض العلماء الركن السادس من أركان الإسلام، وهو من أهم أعمال الرسل عليهم السلام، ومن أجل صفات المؤمنين وخصال الصالحين، وهو سبب خيرية هذه الأمة على غيرها من الأمم، قال تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [آل عمران: ١١٠]، وعده الله شرطاً للتمكين في الأرض ﴿الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾ [الحج: ٤١]، وهو من أعظم أسباب النصر، وفي القيام به تكفير للسيئات وحفظ للضرورات الخمس، بل حفظ للمجتمع المسلم، فضلاً عن الأجور العظيمة المترتبة على القيام به.

وتركه إثم عظيم، وسبب لوقوع الهلاك والعذاب وعدم إجابة الدعاء، فعن حذيفة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (والذي نفسي بيده لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عقاباً منه ثم تدعونه فلا يستجاب لكم)^(٤)، وبتركه يتسلط الفساق والفجار والكفار على الأمة، وتشيع المعاصي وتُستمرأ، ويظهر الجهل ويندثر العلم، وتقل شوكة أهله وتقل هيبتهم.

أما في الاصطلاح فهي: وظيفة دينية واجتماعية تهدف إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في المجال العام، لضمان تحقيق مقاصد الشريعة الإسلامية في حماية الدين والنفس والعقل والمال والعرض^(١).

أو هي: أمر بالمعروف إذا ظهر تركه، ونهي عن المنكر إذا ظهر فعله، وإصلاح بين الناس، قال الله تعالى: ﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ﴾ [النساء: ١١٤]^(٢)، وقد كان أئمة الصدر الأول يباشرونها بأنفسهم لعموم صلاحها، وجزيل ثوابها.

والمعروف هو كل ما يحبه الله تعالى ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة، فيشمل المعتقدات من أمور الإيمان بالله، والرسول، والقدر، ونحوها، ويشمل العبادات من صلاة، وزكاة، وصيام، وحج، وجهاد، ويشمل المعاملات من عقود، وبيع وشراء، ونكاح، وطلاق، وما إلى ذلك. ويشمل التشريعات التنظيمية من حدود، وقصاص، ويشمل أيضاً الأخلاق من صدق، وعدل، وأمانة، ونحوها. وسمي المعروف معروفاً لأن الفطر المستقيمة والعقول السليمة تعرفه، وتشهد بخيره وصلاحه.

ومعنى الأمر بالمعروف: الدعوة إلى فعله، والإتيان به مع الترغيب فيه، وتمهيد أسبابه وسبله بصورة تثبت أركانه، وتوطد دعائمه، وتجعله السمة العامة للحياة جميعاً.

وأما المنكر: فهو كل ما يبغضه الله تعالى ولا يرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة، فيشمل الشرك بكل ألوانه وصوره، ويشمل الأمراض القلبية من الرياء والحقْد والحسد والعداوة والبغضاء ونحوها، ويشمل تضييع العبادات، كما يشمل أيضاً الفواحش كالزنا والسرقة وشرب الخمر والقذف، والكذب، والبغي، والظلم، والخيانة ونحوها. وإنما سمي المنكر منكراً لأن الفطر السليمة المستقيمة والعقول السليمة تنكره، وتشهد بشره وضرره وفساده.

(١) ينظر: أصول الحسبة في الإسلام، للدكتور كمال إمام، ص (٩).

(٢) ينظر: الأحكام السلطانية، للماوردي، ص (٣٤٩).

(٣) ينظر: شرح الأصول الخمسة، للقاضي عبد الجبار، ص (٧٤١)، والإرشاد، للجويني، ص (٣٦٨).

(٤) أخرجه الترمذي (٢١٦٩).

المنتجات والتأكد من جودتها وسلامتها، وتنظيم عمل الصناعات والتجار بما يخدم المصلحة العامة.

٤. العناية بالصحة العامة، ويشمل: الإشراف على النظافة العامة في الأسواق والشوارع، والتفتيش على المخازن والمطاعم لضمان النظافة وسلامة الطعام، ومكافحة الأوبئة، والتأكد من دفن الموتى بطريقة شرعية وصحيحة.

٥. الإشراف على البناء والعمارة: ويتضمن: ضمان عدم التعدي على الطرق العامة والممتلكات، ومراقبة التزام البناء بالقوانين الشرعية والهندسية، وإزالة المخالفات التي قد تؤثر على حركة الناس أو تسبب الضرر.

لكن لا شك أن الحسبة أوسع من هذه المهام، خصوصاً عند استحضارنا للحسبة بمفهومها العام، خارج الإطار الوظيفي، فكل خطأ بحاجة لتقويم هو مجال للحسبة، وكل ما ينفع الناس وجوده ولم يوجد سواء كان هذا النفع دنيوياً أو أخروياً فهو مجال للاحتساب، ومستوياته تبدأ من البيت والمسجد والحي إلى أن تنتهي إلى أعلى المسؤوليات والمناصب والمقامات، وينبغي أن يكون لكل مقام من يحتسب فيه.

لنظام الحسبة وظائف متعددة من أهمها: ضبط الأخلاق والسلوك العام، والرقابة على الأسواق والتجارة، وملاحظة الحرف والمهن، والعناية بالصحة العامة، والإشراف على البناء والعمارة

أهمية المحتسب في النظام الإسلامي:

عند وجود نظام للحسبة في الدولة المسلمة ومحتسبين تعينهم الدولة: فإن المحتسب صاحب ولاية وسلطة تنفيذية تتبع في عمله القواعد الشرعية ويعتمد على الرقابة الصارمة لضمان تنفيذ الأحكام الدينية والمدنية؛ مما يخوله اتخاذ إجراءات مباشرة لمعالجة المنكرات بما لديه من صلاحيات منحتها إياه الدولة. بخلاف المحتسب المتطوع الذي لا يملك صلاحيات تخوله تنفيذ إجراءات مباشرة، فيقوم بالنصح والتوعية ورفع الأمر إلى الجهات المعنية عند تعذر الإصلاح المباشر^(٣).

الفرق بين الحسبة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

يميل كثير من أهل العلم إلى عدّ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجباً دينياً على كل مسلم، بطابعه الفردي، في البيت والشارع والحي وحيث دعت الحاجة إليه. أما الحسبة، فغالب أهل العلم يتناولها من جهة كونها نظاماً مؤسسياً يتضمن تعيين محتسب من قبل الدولة لمراقبة الأسواق، ومنع الغش، وتحقيق العدالة بين الناس، وغير ذلك من الأغراض.

كما أن بينهما عمومًا وخصوصًا؛ ففي الأمر بالمعروف لا يقتصر ذلك على الأمر به حال تركه، وكذا في إنكار المنكر لا يقتصر ذلك على النهي عنه عند فعله، بل إنّ حثّ الناس على الخير وتوعيتهم وتحذيرهم من الشر كل ذلك داخل في موضوع الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ وهذا وجه زيادته على الحسبة.

أما وجه زيادة الحسبة فهو أن عمل صاحب الحسبة -بمفهومها الواسع- لا يقتصر على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، بل إنه أوسع من ذلك بكثير^(١).

أهم وظائف نظام الحسبة^(٢):

من أهم وظائف المحتسب المعين من طرف الدولة الإسلامية التاريخية: مجموعة من الأمور المحددة، بياناها كما يأتي:

١. الرقابة على الأسواق والتجارة، ويشمل: مراقبة الأسعار، ومنع الاحتكار، وفحص المكييل والموازين للتأكد من دقتها، ومراقبة جودة السلع، ومنع الغش التجاري.

٢. ضبط الأخلاق والسلوك العام، ويشمل: الممارسة الفعلية للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومنع الممارسات غير الأخلاقية في الأماكن العامة، ومراقبة السلوكيات التي تضر بالمجتمع، مثل التسول غير المشروع.

٣. ملاحظة الحرف والمهن، وتشمل: التأكد من التزام الحرفيين بالمعايير المهنية، وفحص

(١) الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أصوله وضوابطه وآدابه، لخالد السبت، ص (٣٤).

(٢) ينظر: الحسبة في الإسلام، لابن تيمية.

(٣) ينظر: دروس الشيخ سفر الحوالي، جزء (٢٦) ص (١٢) موقع الشبكة الإسلامية.

وهذا لم يُلغ الدور العام التطوعي لكل مسلم في النصح والتوعية والبيان.

دور الحسبة في تعزيز القيم المجتمعية في

للحسبة دورٌ مهمٌ في التاريخ الإسلامي؛ حيث كانت أداة رئيسة للإصلاح المجتمعي، وقد صارت من مهام الولاة والقضاة في عصر الدولة الأموية، لتصبح في العصور اللاحقة مؤسسة رسمية يُعَيَّن لها محتسبون متخصصون لهم سلطات واسعة

العصر الحاضر^(٤):

المقصود بالقيم المجتمعية: القواعد أو المقاييس التي يقوم على ضوئها السلوك الاجتماعي أو يُحكم عليه، وهي مصدر للمعايير الاجتماعية التي يُقصد بها الأحكام الملموسة والمحددة نسبياً والمعتمدة في تحديد أنواع السلوك المناسب في أوضاع وظروف معينة^(٥).

وفي عصرنا الذي نعيشه حصل تراجع كبير في طبيعة القيم السائدة في الكثير من المجتمعات المسلمة فضلاً عن غيرها؛ نتيجة البعد عن روح الشريعة وآدابها، فانتشر الظلم واعتدى القوي على الضعيف، وتراجعت الرقابة الذاتية عن الناس كثيراً.

ومن أهم القيم المجتمعية التي تعززها ممارسة الحسبة بشكليها (التطوعي والرسمي) في مجتمعاتنا اليوم:

١. محاربة الرذيلة وإحلال الفضيلة:

تسهم الحسبة في منع انتشار الرذائل مثل المخدرات والانحرافات الأخلاقية؛ من خلال التوعية والإرشاد، إضافةً إلى الرقابة على الأماكن التي قد تروج لمثل هذه السلوكيات.

أما عند عدم وجود نظام للحسبة فيعود الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لأصله واجباً عاماً في عنق كل مسلم بما يستطيع، وضمن الضوابط العامة.

الحسبة أداةً للتغيير المجتمعي، لمحة وشواهد تاريخية:

كان للحسبة دورٌ مهمٌ في التاريخ الإسلامي؛ حيث كانت أداة رئيسة للإصلاح المجتمعي، ويتضح ذلك جلياً عند دراسة تطور مفهوم الحسبة عبر التاريخ الإسلامي، حيث بدأ تطبيق الحسبة على يد النبي ﷺ، حيث كان يراقب الأسواق بنفسه، ويعيّن من يقوم بها، مثل سعيد بن العاص وعمر بن الخطاب^(١).

واستمر العمل بنظام الحسبة في العصر الأموي، لكن بطريقة غير مركزية، حيث كانت من اختصاص الوالي والقضاة في المدن الكبرى، كما أشار لذلك ابن خلدون في مقدمته^(٢).

وأصبحت الحسبة في العصر العباسي مؤسسة رسمية، وعيّن لها محتسبون متخصصون يتبعون الدولة مباشرة، وكان لهم سلطات أوسع تشمل الرقابة الأخلاقية والاجتماعية، كما أكد ابن قدامة في «المغني»^(٣).

وازدادت صلاحيات المحتسب في العصر المملوكي والعثماني، وأصبحت هناك سجلات رسمية لتنظيم الأسواق والحرف والمهن.

كما استمر نظام الحسبة في العصر الحديث، لكنه تحول إلى أجهزة رقابية مثل الشرطة والهيئات التنظيمية في الدول الإسلامية الحديثة.

وفي العصر العباسي كان المحتسب مسؤولاً عن مراقبة الأسواق ومنع الغش التجاري. وفي الأندلس استخدمت الحسبة للحفاظ على النظام العام وضبط السلوكيات غير الأخلاقية. وأما في الدولة العثمانية فقد تم تطوير مؤسسة الحسبة لتشمل الرقابة الصحية والمهنية؛ مما أسهم في تحسين جودة الحياة العامة.

(١) ينظر: سيرة ابن هشام، ص (١٢)، والريح المختوم، للمباركفوري، ص (٣١٢).

(٢) ينظر: مقدمة ابن خلدون، ص (٤٣٢).

(٣) ينظر: المغني، لابن قدامة (١٥٤/٢).

(٤) ينظر: الحسبة في الإسلام، لابن تيمية.

(٥) مقالة «القيم الاجتماعية وأثرها في البناء الاجتماعي»، للدكتور شاكر حسين الخشالي، موقع معارج الفكر. ومصطلح «قيم» يعتبر حيادياً؛ بمعنى أن القيم يمكن أن تكون إيجابية نافعة، كما يمكن أن تكون سلبية ضارة، فالتضامن والتكافل قيم إيجابية نافعة، والأنانية والأثرة قيم سلبية ضارة.



بوجود الحسبة والنصح والرقابة يرتفع الالتزام بالضوابط الأخلاقية للمهن المختلفة، ومع اعتياد وجود الرقابة يتحول هذا الالتزام إلى سلوك طبيعي عند الناس

مقترحات لتطوير نظام الحسبة في العصر الحديث^(١):

على الرغم من أن نظام الحسبة الرسمي كان فعالاً في العصور الماضية، لكن تطويره لمواكبة العصر الحديث يتطلب تحديث آلياته وأساليبه؛ بحيث يتناسب مع النظم القانونية والإدارية الحديثة. وفيما يأتي بعض المقترحات:

١. تعزيز الإطار القانوني والتنظيمي: من خلال تحديث القوانين الحسبية لتتوافق مع الأنظمة القانونية الحديثة وحقوق الإنسان، ووضع لوائح واضحة لتنظيم عمل المحتسبين، بحيث يكون دورهم رقابياً وإرشادياً أكثر من كونه عقابياً، ودمج نظام الحسبة ضمن المؤسسات الرقابية الرسمية مثل وزارة التجارة وهيئات حماية المستهلك.

٢. التعاون مع الجهات الحكومية والمجتمع المدني: بتعزيز التنسيق بين المحتسبين والجهات الرسمية مثل البلديات والوزارات المختصة؛ لضمان فعالية الرقابة، ودعم الشراكة مع مؤسسات المجتمع المدني لتعزيز الرقابة الشعبية، وتشجيع الإبلاغ عن المخالفات، وإشراك القطاع الخاص في جهود الرقابة من خلال تحفيز الشركات على الالتزام بمعايير الجودة والنزاهة.

٣. التحول الرقمي وتوظيف التكنولوجيا: من خلال إطلاق منصات إلكترونية لاستقبال الشكاوى والمقترحات من المواطنين حول المخالفات التجارية والأخلاقية، واستخدام الذكاء الاصطناعي في تحليل البيانات واكتشاف المخالفات في الأسواق والمرافق العامة، والسعي إلى إنشاء تطبيقات ذكية تتيح الإبلاغ الفوري عن أي تجاوزات في التجارة أو الممارسات غير الأخلاقية.

٢. التضيق على الفساد وتحقيق العدالة الاجتماعية:

تلعب الحسبة دوراً في مكافحة الفساد الإداري والمالي عبر آليات الرقابة والإبلاغ عن التجاوزات، مما يعزز مناخ العدالة الاجتماعية في المجتمع.

٣. وأد المشكلات ومنع تفاقمها والعمل على حلها:

من خلال الرقابة الاستباقية، حيث تمنع الحسبة تفاقم المشكلات مثل العنف الأسري والتطرف الفكري، وتساهم في وضع حلول مناسبة قبل تحولها إلى أزمات كبرى.

٤. الأمانة والالتزام الأخلاق المهني:

بوجود الحسبة والنصح والرقابة يرتفع الالتزام بالضوابط الأخلاقية للمهن المختلفة، مثل منع التلاعب في المنتجات، أو التهاون في تقديم الخدمات الصحية والتعليمية، أو التنفع الشخصي من موارد الدولة، وهكذا. ومع اعتياد وجود الرقابة يتحول الالتزام تحت الرقابة إلى سلوك طبيعي عند الناس.

٥. الرقابة على النظافة والتقيد بالمعايير البيئية:

تلعب الحسبة دوراً في الحفاظ على النظافة العامة، ومراقبة المؤسسات الصناعية والتجارية للتأكد من التزامها بالمعايير البيئية.

٦. بث روح المبادرة وتحمل المسؤولية:

الحسبة من أشرف وأصعب الأعمال؛ لأنها تتعلق بالمسؤولية والمبادرة في أمر يثقل على النفس، وقد تواجه برفض أو مقاومة من الناس. ومع ذلك، فإن إقدام المحتسب على هذه المهمة، وشعور الناس بأن فيها نفعاً لهم؛ يشجعهم على تقليده في إيجابيته وروحه المبادرة.

٧. انتشار مبدأ الثقة والتعاون بين الناس:

المحتسب إنسان إيجابي، فكما أنه يأمر بالخير وينكر الأخطاء فهو كذلك يمد يد العون ويجمع الجهود لمساعدة الملهوف، ومع تكرار هذه الجهود مع من لا يعرفهم واستجابة الناس؛ تتحول هذه المبادرات إلى عادات وقيم مجتمعية مع الوقت.

(١) ينظر: نظام الحسبة في الإسلام وحاجة العصر الحاضر له، مقال في مجلة جامعة الأزهر - كلية أصول الدين بالمنوفية، العدد ٢٣، الصفحات (٦٨١) وما بعدها.

أهم القيم المجتمعية التي تعززها الحسبة

٢ التضييق على الفساد وتحقيق العدالة الاجتماعية

١ محاربة الرذيلة وإحلال الفضيلة

٤ الأمانة والتزام الأخلاق المهنية

٣ وأد المشكلات ومنع تفاقمها والعمل على حلها

٦ بث روح المبادرة وتحمل المسؤولية

٥ الرقابة على النظافة والتقيّد بالمعايير البيئية

٧ انتشار مبدأ الثقة والتعاون بين الناس

أهم منتجات نظام الحسبة^(١):

أسهم نظام الحسبة في تطوير العديد من المنتجات والخدمات التي تهدف إلى تنظيم المجتمع وتحقيق العدالة وحماية الحقوق. ويمكن تصنيف منتجات الحسبة إلى عدة مجالات رئيسية:

١. **المنتجات الرقابية والتنظيمية:** ومن ذلك القوانين واللوائح الحسبية التي تنظم الأسواق، وتضبط الأسعار، ومكافحة الغش التجاري، ومنح التصاريح للحرفيين والتجار، والتأكد من التزامهم بالمعايير، والعناية بالسجلات التجارية والمهنية بتوثيق الأنشطة التجارية والحرفية لضمان الجودة والمصداقية.

٢. **المنتجات التوعوية والإرشادية:** من إصدار الكتب والمراجع الفقهية التي تناولت قواعد الحسبة وأحكامها. وإصدار فتاوى توجيهية بشأن المعاملات التجارية والسلوكيات العامة. وتدريب المحترفين والتجار والمجتمع على مبادئ الحسبة وأخلاقيات العمل.

٣. **المنتجات التقنية والإدارية الحديثة:** مثل منصات الإبلاغ عن المخالفات التجارية والأخلاقية، والتطبيقات الذكية لمراقبة الأسواق وجودة السلع والخدمات، ونشر بيانات

٤. **التركيز على التوعية والتثقيف:** من خلال تنظيم برامج تدريبية للمحتسبين في مجالات القانون والإدارة والتكنولوجيا؛ لضمان أدائهم الفعال، وتنفيذ حملات توعوية عبر وسائل الإعلام ووسائل التواصل الاجتماعي؛ لتعريف الناس بأهمية الحسبة وأهدافها، ودمج مفهوم الحسبة الحديثة في المناهج التعليمية؛ لتعزيز الرقابة الذاتية في المجتمع.

٥. **تطوير دور الحسبة في حماية المستهلك:** بإنشاء مراكز رقابة ميدانية بالتعاون مع الجهات المعنية لمتابعة الأسواق والمحال التجارية، وفرض عقوبات رادعة على المخالفين مع توفير آليات سريعة للإنصاف والاعتراض، ودعم مبدأ الشفافية والإفصاح من خلال نشر تقارير دورية عن أداء الحسبة ونتائج عمليات الرقابة.

٦. **توسيع نطاق الحسبة ليشمل قضايا جديدة،** مثل: مكافحة الجرائم الإلكترونية مثل الاحتيال والتضليل في التجارة الإلكترونية، ودعم الجهود البيئية من خلال مراقبة الالتزام بالمعايير البيئية في الصناعات والمشروعات التنموية، والإشراف على جودة الخدمات الصحية والتعليمية، وضمان الامتثال للمعايير المهنية.

(١) ينظر: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في الإسلام، للدكتور يوسف القرضاوي.

٧. تحديات قانونية وتشريعية في بعض الدول التي لم تنظم الحسبة في إطار قانوني حديث، مما قد يجعل ممارستها عرضة للتأويل القانوني والجدل.

٨. التحولات الفكرية والثقافية داخل المجتمعات، حيث تتنامى التيارات الليبرالية والعلمانية في بعض المجتمعات الإسلامية، وتشكل بيئة غير متقبلة لدور الحسبة.

الخاتمة:

تظل الحسبة أداة فعالة في تحقيق التغيير المجتمعي وتعزيز القيم الأخلاقية، ولكنها تحتاج إلى تطوير وتحديث مستمر لمواكبة التغيرات الاجتماعية والثقافية.

ف تطوير نظام الحسبة يتطلب الجمع بين المبادئ الشرعية والتقنيات الحديثة لضمان تحقيق العدالة وحماية المجتمع بشكل أكثر كفاءة من خلال: التحديث الرقمي، وتعزيز الأطر القانونية، والتوعية المجتمعية، ويمكن لنظام الحسبة أن يظل أداة فعالة في الحفاظ على النظام العام وتعزيز النزاهة في المجتمعات الحديثة.

ونجاح الحسبة في إحداث التغيير المجتمعي الإيجابي يتطلب معالجة التحديات التي تعرقل مسيرتها، من خلال تأصيل المفهوم الشرعي للحسبة وضبطه قانونياً، ومن خلال تأهيل المحاسبين علمياً ووجدانياً، ولا بد من تعزيز التكامل بين الحسبة والمؤسسات الأخرى، والاستفادة من الإعلام والتقنية الحديثة في الدعوة والتوجيه.

والله نسأل أن يجعلنا ممن قال عنهم في كتابه: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [فصلت: ٣٣].

تظل الحسبة أداة فعالة في تحقيق التغيير المجتمعي وتعزيز القيم الأخلاقية، ولكنها تحتاج إلى تطوير وتحديث مستمر لمواكبة التغيرات الاجتماعية والثقافية

وإحصاءات عن أداء الأسواق والمخالفات المضبوطة.

٤. **المنتجات المجتمعية والخدمية:** مثل مكاتب الشكاوى وخطوط الإبلاغ عن الغش والاحتيال، والتفتيش على الأغذية والأدوية، وضمان النظافة العامة، ونشر ثقافة الأخلاق التجارية والسلوكيات السليمة.

٥. **المنتجات الأمنية والقضائية:** وتشمل أنظمة ضبط المخالفات، وفرض العقوبات على المخالفين في الأسواق والمجتمع، والتنسيق مع الجهات الأمنية، ودعم الأمن العام من خلال الرقابة على المخالفات السلوكية.

التحديات التي تعترض دور الحسبة في التغيير المجتمعي^(١):

١. ضعف الوعي بمفهوم الحسبة وحدودها، ويتجلى ذلك في خلط البعض بين الحسبة والتدخل في خصوصيات الآخرين.

٢. التمييز بين ما هو منكر متفق على إنكاره وما هو محل خلاف مذهبي، فالواجب في الحسبة أن تنصب على المتفق على إنكاره، وكذلك المعروف على المتفق على كونه معروفاً.

٣. غياب التأهيل العلمي والدعوي للمحاسبين، وغياب المهارات الاجتماعية والحوارية، والدفع بالمحاسب إلى مباشرة العمل قبل نضوجه علمياً أو تدريبه على خطاب الآخرين.

٤. ربط الحسبة بالتشدد أو التطرف في أذهان العامة، فبعض التجارب السلبية أسهمت في تشويه صورة الحسبة، وربطها بالتطرف أو التدخل غير المبرر، مما خلق حاجزاً نفسياً واجتماعياً تجاهها.

٥. تغير أنماط الحياة والانفتاح الإعلامي، وانتشار وسائل التواصل الاجتماعي يعقد مهمة المحاسب، حيث غدت هذه الوسائل تتدخل في توجيه القيم والأخلاق والسلوك.

٦. غياب التنسيق المؤسسي بين الجهات المعنية، وغياب التشريعات المنظمة لدور الحسبة أو ضعف تنفيذها قد يخلق فراغاً تنظيمياً يُستغل بالشكل الخطأ.

(١) ينظر: نظام الحسبة في الإسلام، لمحمد سيد الوكيل، ص (٢٢٠)، والفقهاء الإسلامي وأدلته، للدكتور وهبة الزحيلي (٣٩٨/٤).

الشباب واضطراب الهوية الدينية في عصر الرقميات

د. كريمة دوز^(*)

في عصر التعددية الثقافية والانفتاح الرقمي، أضحي الحديث عن الهوية محط اهتمام الباحثين؛ فالهوية كانت وما تزال خصيصة إنسانية وسمة من سمات البشر، ورغم التعددية الثقافية والعرقية يبقى الحفاظ على الهوية مطمحا للجميع، لذلك فالحديث عن صدام الحضارات أو صراع الحضارات هو في صلبه صراع للهويات، تحركه القيم الثقافية والاجتماعية. ولما كانت الهوية الدينية هي ما يميز انتماء الإنسان العقائدي، ويحدد رؤيته الوجودية؛ بات الحديث عنها في ظل الثورة التكنولوجية وسطوة العالم الافتراضي أمرا ضروريا.

التمثلات والمواقف والأنشطة والممارسات كلها التي يعبر بواسطتها الفرد عن انتمائه الديني^(١).

لذلك يمكن اعتبار الهوية الدينية من أهم الهويات التي على أساسها تتكون العديد من سلوكياتنا ومثلنا العليا، ومن ينظر في القرآن الكريم يرى الإشارات الربانية لركيزة الهوية الإسلامية في قول الحق سبحانه وتعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [فصلت: ٣٣]، ففي هذه الآية الكريمة

محددات الهوية الدينية بين الواقع الرقمي (من نحن؟):

لكل حضارة إنسانية رؤيتها وتصورها عن الله والإنسان والكون، وتعد هذه الرؤية خارطة معرفية يحاكم إليها الإنسان واقعه وتصرفاته في علاقته بالذات والآخر، وكلما كانت هذه الرؤية متساقطة مع فطرته كان الإنسان أكثر ثباتا واستقامة، وتعد الهوية الدينية من تباديات هذه الرؤية؛ فهي

(*) دكتوراه في العقيدة والفكر الإسلامي ومقارنة الأديان، جامعة سيدي محمد بن عبد الله، فاس، المغرب.

(١) ينظر: تيولوجيا الهوية الدينية الرقمية، (دراسة سوسيولوجية لتعبيرات الشباب الدينية عبر فيسبوك)، نادية العالية، مجلة عمران، الدوحة - قطر، العدد ٤٥، المجلد (١٢)، (٢٠٢٢م)، ص (١٣).

ويصبح تابعاً لهم، كل همهم أن يقلدهم أو أن يلحق بهم ويبدع داخل إطارهم»^(١).

- اللغة العربية:

باعتبارها لغة القرآن والتي حملت بثرائها اللفظي وعمقها المنطقي هوية المسلمين الفكرية والثقافية، ومنذ انتشار الإسلام في أصقاع الأرض صارت العربية لغة عالمية؛ فهي لغة الدين والعلم والثقافة والأدب لكل الأمصار المنضوية تحت لواء الإسلام، حتى إن الحرف أو الخط الشريف - كما يطلق عليه العثمانيون - الذي تكتب به لغات الشعوب الإسلامية هو الحرف العربي، وفي هذا السياق يقول ابن خلدون: «لغات أهل الأمصار إنما تكون بلسان الأمة أو الجيل الغالبين عليها أو المختطين لها، ولذلك كانت لغات الأمصار الإسلامية كلها بالشرق والمغرب لهذا العهد عربية»^(٢)، ففوة لغتنا في العصر الإسلامي الأصيل كانت مستمدة من قوة الإسلام وحضور روحه في قلوب المسلمين.

- التاريخ المشترك:

الذي ساهم في صناعته أبناء الإسلام، وكان لهم محطات مضيئة ساهمت بشكل فعال ومؤثر في تغيير مجرى حياة الأمة الإسلامية، فهو المخزون الثقافي المشترك الذي يزخر به ذهن المسلم، من خلال معرفته كيف كانت الحياة قبل الإسلام، وكيف جاء الإسلام ولمن جاء، والعراقيل التي اعترضته في أثناء انتشاره، فهذه البصمة الثقافية الأولى التي يتشبع بها كل مسلم تجعلهم ضمناً لهم تجارب وخبرات مشتركة، بل أدت هذه البصمة إلى إشراكهم في قضايا مهمة.

فهذه هي مجموع محددات الهوية الدينية الجمعية للمسلمين، بالإضافة إلى محدد النموذج القدوة - المتمثل في رسول الله ﷺ وسائر الأنبياء عليهم السلام ثم الصحابة رضوان الله عليهم -

ثلاثة أركان لهوية المسلم وهي: «العقيدة والعمل والاتباع»، حيث يمكن عدها من اللبنة الأساسية للهوية الإنسانية؛ فالشخص الذي يمتلك هذه العناصر الأساسية، أي: يمتلك الإيمان ويطبق الأخلاق الإلهية في روحه ويتصرف وفقاً للعقيدة والأخلاق، فقد استطاع أن يجد هويته الحقيقية^(٣)، ومن حاد عنها لم يحقق الشهادة على الناس.

وهوية هذه الأمة كانت قائمة منذ البداية على هذا الأساس؛ فهويتنا هي مجموع العقائد والمبادئ والخصائص التي تجعلها تباين الأمم الأخرى^(٤)، وهي الصورة التي نقلت لنا عن رباعي بن عامر رضي الله عنه عند لقائه بقائد الفرس لما قال له: «الله ابتعثنا لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام»^(٥)، فلم يكن رباعي بن عامر ليقول هذا لولا فقهه بعظم الرسالة وقوة انتمائه لهذا الدين.

الهوية الدينية من أهم الهويات التي على أساسها تتكون العديد من سلوكياتنا ومثلنا العليا

وهذه الهوية محصلة لمجموعة من الأسس والمحددات يمكن تصنيفها فيما يأتي^(٦):

- عقيدة التوحيد:

فهو المرجع الأول والمصدر الأساس لحضارتنا وفكرنا ونهضتنا، وهي الأساس الصلب للهوية الإسلامية ومنطلق الإبداع^(٧)، ومن لا ينطلق من هويته لن يحقق نهوضاً، لذلك يقول عبدالوهاب المسيري: «الإنسان الذي لا هوية له لا يمكنه أن يبدع، فالإنسان لا يبدع إلا إذا نظر للعالم بمنظاره هو وليس بمنظار الآخرين. لو نظر بمنظار الآخرين، أي لو فقد هويته، فإنه سيكرر ما يقولونه

(١) إطلالة على العلاقة بين الهوية والثقافة مع التركيز على الهوية الدينية، محمد حسين ميري، مجلة آداب الكوفة، الكوفة - العراق، العدد ٥٢، ج (٢)، (٢٠٢٢م)، ص (١٢٨).

(٢) تجديد الوعي، للدكتور عبد الكريم بكار، ص (٦٩-٧٠).

(٣) البداية والنهاية، لابن كثير (٦٢٢/٩).

(٤) ينظر: الهوية الإسلامية في زمن العولمة الثقافية، خليل نوري مسيهر العاني، مركز البحوث والدراسات الإسلامية، بغداد - العراق، الطبعة الأولى، (٢٠٠٩م)، ص (٤٩-٥١). و: أزمة الهوية الإسلامية، دورية نماء لعلوم الوحي والدراسات الإنسانية، بهية سهلي، العدد (٩-٨)، (٢٠٢٠م)، ص (٤٠-٤١).

(٥) للوقوف على مركزية عقيدة التوحيد في تحقيق النهوض الحضاري يراجع في ذلك كتاب: التوحيد ومضامينه على الفكر والحياة، للدكتور إسماعيل راجي فاروقي رحمه الله.

(٦) الهوية والحركة الإسلامية، للدكتور عبد الوهاب المسيري، ص (١٤٨).

(٧) المقدمة، لابن خلدون (٥٧/٢).

التفاعلات الافتراضية؛ فهي تمثل الطريقة التي يتصور ويتمثل بها ذاته بوصفه متدينًا داخل الفضاء الرقمي، والتي تتخذ أشكالًا وصورًا متعددة.

معاناة الإنسان اليوم من أزمة الهوية مردها إلى أن هذه الأخيرة لم تعد مجموعة رتيبة من القيم الثابتة المطلقة؛ فالهوية الأمريكية مثلاً تجاوزت اليوم حدود القارة الأمريكية، وتمددت على كل مساحة الأرض، لتتبدى قضية الهوية في البلدان الإسلامية اليوم على جانب كبير من التعقيد والالتباس مقارنة بالماضي. وسبب التعقيد هو دخول هوية جديدة على الهوية القومية الدينية لهذه المجتمعات، ولدت من رحم الحداثة والثورة المعلوماتية^(٤).

وهكذا لم تخل رقمنة الدين من التأثير على الدين نفسه؛ لأن استعمالات النص الديني توظف أكثر فأكثر من قبل أصحابه وأعدائه على حد سواء، وبالتالي ينعكس ذلك على الممارسات الدينية نفسها وعلى صورة الدين بوجه عام. بتعبير آخر غيرت رقمنة الدين علاقة الإنسان بالدين، إذ أصبح الإنترنت ضربًا جديدًا من العلاقة بالدين، بمعنى أنه تحول من نمط خاص لمعرفة الدين إلى نمط خاص في ممارسة الدين^(٥).

فالفضاء الرقمي أحدث تغييرًا كبيرًا في الطرق التي يتم بها التحدث عن الذات عبر الإنترنت، حيث سمح -كما يرى السوسيولوجي الفرنسي ريمي ريفيل- بظهور ما يطلق عليه «الذاتية عبر الشبكة»، حيث أدت تلك النزعة الفردية المعاصرة التي تقيم اكتمال الذات بالشباب إلى أن يحملوا على الويب هويات متعددة ويطلقوا العنان لانطلاق حقيقة للجوانب المختلفة من شخصيتهم^(٦).

ونتيجة لذلك لم يعد العالم الافتراضي مجرد وسيلة للمعرفة وعرض المعلومات الدينية، بل أضحت نمطًا فكريًا في بناء التصورات والرؤى ووسيلة تبشيرية لتبني هويات جديدة.

والتي يتشارك فيها كافة أبناء هذه الأمة، وأي خلل أو تشوه يشوب هذه المحددات سيأتي على الهوية الدينية، ويدخل الإنسان في خندق التأزم الهوياتي، والبحث عن هويات دينية هجينة عززت الثورة المعلوماتية والعالم الرقمي.

الهوية الدينية الجمعية للمسلمين لها محددات تتمثل في عقيدة التوحيد المرجع الأول والمصدر الأساس لحضارتنا وفكرنا ونهضتنا، واللغة العربية لغة القرآن والتي حملت بثرائها اللفظي وعمقها المنطقي هوية المسلمين الفكرية والثقافية، والتاريخ المشترك الذي ساهم في صناعته أبناء الإسلام

الدين الرقمي والهوية الهجينة:

أصبحنا اليوم نتحدث عن هوية رقمية إلى جانب هوية الشخص الواقعية، وهي ظاهرة اجتماعية ظهرت مع الاتصال الرقمي والأشكال الأولى للملف الشخصي لمستخدمي الإنترنت على شبكات التواصل الاجتماعي^(١).

حيث استطاعت هذه الشبكات تشكيل مجتمعات من أعضاء يعرفون أنفسهم جزءًا من المجتمع عندما يجدون الأماكن التي يمكنهم فيها التواصل بشكل هادف مع الأشخاص ذوي التفكير المماثل^(٢).

وقد أدى العيش في عالمين متميزين إلى إرساء دعائم تشكل هوية هجينة توصف بأنها هوية افتراضية أو رقمية أو شبكية، ورغم تعدد التسميات فإن الهوية الرقمية تشير إلى الطريقة التي يعرض بها الشخص ذاته في فضاءاته السيبرانية، مما يكسب الفرد هوية حרבائية متلونة غير ثابتة^(٣).

والهوية الدينية الرقمية هي إحدى أنواع هذه الهويات الهجينة، والتي تتكون من نسق من التمثيلات والتصورات والمعاني انطلاقًا من

(١) ينظر: تيبولوجيا الهوية الدينية الرقمية، ص (١١).

(٢) التدين الشبكي الرقمي الإسلامي، عبد الكريم بليل، مجلة الشهاب، المجلد الثامن، العدد ١، (٢٠٢٢م)، ص (٥٩٤).

(٣) ينظر: تحولات الشخصية بالمجتمع الشبكي الرقمي، صلاح الدين لعريني، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية لأكاديمية المملكة المغربية، العدد (١)، المجلد (١)، (٢٠٢٢م)، ص (٢٨٦).

(٤) هوية بأربعين وجهًا، داريوش شايفان، ترجمة: حيدر نجف، ص (١٢٩)، بتصرف.

(٥) الإسلام الرقمي مصدر تيه أخلاقي، عبد الصمد الديالمي، مؤسسة مؤمنون بلا حدود، رابط المقالة: <https://2u.pw/WHPNpwf>

(٦) ينظر: الثورة الرقمية ثورة ثقافية، ريمي ريفيل، ترجمة: سعيد بلمبخوت، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، العدد (٤٦٢)، (يوليوز ٢٠١٨م)، ص (٦٧).

قد تتعين من الخارج، خاصة بواسطة الإعلام، ومن ثم تصير نماذج التفاعل الاجتماعي المشكّلة للهوية شديدة التعقيد، متضمنة الاستجابة للصور والرسائل التي يروجها الإعلام، والتفاوض معها. وهذا ما يشكل بوضوح عنصرًا مهمًا للغاية في تحديد الهويات الجيلية واستمرارها في المجتمعات المعاصرة المتقدمة^(٢).

ولعل هذا الأمر يعود إلى وتيرة التغيير التي يتسم بها العالم المعاصر، فالأمور تسير نحو التغيير بسرعة شديدة؛ فبمجرد أن تستقر على طريقة معينة لإنجاز الأمور فإنها لا تلبث أن تتغير تارة أخرى^(٣)، قس على ذلك الهويات التي تتشكل داخل العالم الرقمي ويلبسها الشباب ثم ما يلبثون يغيرونها بهويات أخرى.

فهذا التغيير السريع الذي ميز عصر ما بعد الحداثة بَلَوَ ما اصطلاح عليه زيجمونت باومان «الثقافة الهجينة» وهي ثقافة ترمز إلى حركة تتجه نحو هوية غير ثابتة، بل غير قابلة للثبات، وفي ذلك يقول باومان: «المتقف الهجين ينشغل بتركيب هويته وفكها وإعادة تركيبها، فالهجين الثقافي قد تحرر من الروابط المحلية، وصار ينتقل في يسر عبر شبكات الفضاء الإلكتروني»^(٤).

ولعل الباحثة هدى كريملي قد استطاعت في دراسة اجتماعية لها الكشف عن أنماط الهوية الدينية لدى الشباب المغربي باعتبارهم عينة للدراسة (ويمكن تعميمها على بقية الشباب العربي إلى حد كبير)، وقسمت هذه الأنماط إلى ثلاثة نماذج^(٥):

١. **هوية أصولية:** تتشبث بالأصول والقيم الدينية التقليدية وترفض الانفتاح على القيم العالمية.
٢. **هوية مختلطة أو ثنائية القطب:** وهي الهوية المهيمنة لدى الشباب، تجمع بين القيم الكونية والثقافة العالمية وبين القيم التقليدية والخصوصية العقائدية للدين الإسلامي.

ومن أمثلة اضطراب الهوية الدينية في العصر الرقمي:

١. الانفتاح المعلوماتي غير المنضبط على الأفكار والمعتقدات والتيارات.
٢. بروز أصوات غير مؤهلة دينيًا (مؤثرين لا علماء) واتخاذها مصادر معلومات.
٣. الفصل بين العلم والأخلاق.
٤. التركيز على القيم المادية في مقابل القيم الأخلاقية.
٥. ضعف التربية الرشيدة عمومًا.
٦. اضطراب المعايير الدينية والأخلاقية والاجتماعية.
٧. الضغوط الاجتماعية والنفسية المتفشية في العصر كالقلق الوجودي وفقدان المعنى.

الهوية الدينية الرقمية هي إحدى أنواع الهويات الهجينة، والتي تتكون من نسق من التمثيلات والتصورات والمعاني انطلاقًا من التفاعلات الافتراضية؛ فهي تمثل الطريقة التي يتصور ويتمثل بها الإنسان ذاته بوصفه متدينًا داخل الفضاء الرقمي، والتي تتخذ أشكالاً وصوراً متعددة

الهوية الدينية للشباب وعالم اللامحدودية (سرعة التغيرات):

في مراحل عملية النمو، نلاحظ جميعًا عاجلاً أم آجلاً أننا جزء من جيل ذي مواصفات خاصة، فنحن لا نستجيب للأشياء بالطريقة التي يستجيب بها من هم أكبر سنًا منا، حتى على الرغم من أننا قد نظن أننا نتشارك القيم العامة نفسها ونتحدث اللغة نفسها^(٦).

وفي دراسة الباحث ويد كلارك روف عن العلاقة بين الهوية الدينية للأجيال السابقة وهذا الجيل رأى أن الهويات الجيلية في المجتمع المعاصر

(١) ينظر: الأجيال والدين، ويد كلارك روف، المرجع في سييسولوجيا الدين، مجموعة مؤلفين، ترجمة: ربيع وهبه، (٩٢٥/٢).

(٢) ينظر: المرجع السابق (٩٣٣/٢).

(٣) ينظر: حياة تالفة - أزمة النفس الحديثة، تود سلون، ترجمة: عبد الله الشهري، ص (٣٢).

(٤) الحياة السائلة، زيجمونت باومان، ترجمة: حجاج أبو جبر، ص (٥٨).

(٥) ينظر: الثقافة الرقمية وهران الهوية الدينية عند الشباب المغربي، هدى كريملي، مجلة إنسانيات، رابط المقال: <https://journals.openedition.org/insaniyat/26403#tocto2n1>

من أمثلة اضطراب الهوية الدينية في العصر الرقمي

بروز أصوات غير مؤهلة دينيًا (مؤثرين لا علماء) واتخاذها مصادر معلومات

الانفتاح المعلوماتي غير المنضبط على الأفكار والمعتقدات والتيارات

التركيز على القيم المادية في مقابل القيم الأخلاقية

الفصل بين العلم والأخلاق

اضطراب المعايير الدينية والأخلاقية والاجتماعية

ضعف التربية الرشيدة عمومًا

الضغوط الاجتماعية والنفسية المتفشية في العصر كالقلق الوجودي وفقدان المعنى

تأزم الهوية لدى الشباب:

ليست هناك مرحلة من مراحل الحياة يمكن للإنسان أن يشعر فيها بنفسه وبالعالم بأنه مشكلة أكثر من مرحلة الشباب، وما يزيد احتدام هذا الصراع أن الشباب المعاصر لم يعد يعيش في عالم واحد، بل أضحي يعيش في عوالم مختلفة عززتها الثورة المعلوماتية، وهي عوالم تستظل بالحضارة الغربية صانعة هذا العالم ومالكته، ومن يدخل دواليب هذه العوالم يرى مدى ارتباك الشباب فيها وفقدانهم لبوصلة هويتهم الدينية، لذلك يرى عالم النفس التطوري إريك إريكسون^(١) أن تعدد الخيارات الهوياتية المتاحة للشباب المعاصر من المرجح أن يولد في نفوسهم القنوط واليأس والارتباك^(٢).

وما يزيد تأزم مظاهر الهوية الدينية للشباب في العالم الإسلامي من خلال الفضاء الرقمي^(٣):

« وضع منصات وصفحات لحركات فكرية وعقائدية مناوئة للإسلام تستقطب الشباب.

« نشر الأفكار المتطرفة والخرافات.

٣. **الهوية العالمية:** المنفتحة على القيم الكونية والتي تترجم «الاستبطان الهوياتي» للثقافة الرقمية والتي تؤثر على الشباب بكل رموزها ودلالاتها.

وهذا التصنيف يبرز مدى ارتباك الشباب في تحديد هوياتهم الدينية، وهي أنماط قد تتداخل فيما بينها، لتبرز عدم الثبات والتغير المستمر للهوية الدينية عندهم، وهي هويات سائلة تتشكل في إطار استراتيجية الحياة المعاصرة التي حللها زيجمونت بومان كما أسلفنا.

يعاني الشباب من ارتباك كبير في تحديد هوياتهم الدينية، وحتى عندما يعرف أحدهم نفسه وفق نمط معين من أنماط الهوية الدينية فإنه لا يلبث أن ينتقل عنها إلى غيرها؛ وذلك راجع إلى وتيرة التغير التي يتسم بها العالم المعاصر، ولا سيما في الفضاء الرقمي

(١) من علماء النفس التطوريين الألمان، اهتم بالكتابة في الهوية لدى الناشئة والشباب ومن أبرز كتبه في هذا المجال: «Identity youth and crisis». وللتوسع في رؤيته عن الهوية ينظر: «البحث عن الهوية: الهوية وتشتتها في حياة إيريك إريكسون وأعماله».

(٢) بحث بعنوان: الدين والهوية، Religion and Identity، منشور في المجلة الأمريكية الدولية للأبحاث المعاصرة، American International Journal of Contemporary Research، المجلد ٣، العدد ٦، يونيو ٢٠١٣م، Vol. ٣، No. ٦، June ٢٠١٣.

(٣) ينظر: تأثير مواقع التواصل على الهوية الثقافية للشباب الجزائري، سلمى حميدان، مجلة المعيار، قسنطينة-الجزائر، ٢٠٢٠م، العدد ٤٩، ص (٥٢٩).

الوسائط الاجتماعية والتي يعمل أصحابها على بثّ الشبهات في نفوس الشباب المرتبك وغير المؤسس تأسيساً عقدياً متيناً.

- جرأة من خلف ستار:

وهكذا أتاحَت الوسائط الاجتماعية للملحدين إمكانية بناء مجتمع افتراضي له هويته الخاصة، قائم على إنكار المقدس ومهاجمته، ونشر شبهاتهم وأفكارهم بين الفئة الشبابية القابلة للتأثر، واختلاق احتجاجات افتراضية تهم قضايا الملحد في المجتمع العربي؛ كحرية الإفطار العلني في رمضان، والحرية الجنسية وغيرها، وبمجرد البحث عن كلمة إلحاد في تلك الوسائل تظهر لك عشرات الصفحات^(٢) والمجموعات والقنوات التي تجمع أصحابها تحت مسميات مختلفة، كاللادينيين، والملحدين، والعقلانيين، وغيرها من العبارات التي تحوم حول الإلحاد.

لكن رغم شجاعة الملحد في عالمه الجديد إلا أن هويته تبقى مجهولة: فأغلب الملحدين يروجون لأفكارهم بأسماء مستعارة متكتمين على هويتهم الحقيقية، ليظهروا بأخرى افتراضية، بل إن المتتبع لبعض مشاهير الإلحاد في المجتمعات العربية، خصوصاً في منصة الفيسبوك واليوتيوب، يلحظ حرصهم الشديد على إخفاء أسمائهم وهوياتهم الحقيقية، فالظهور باسم مجهول بالنسبة للملحد العربي انعتاق من المسؤولية الشخصية التي يتيحها تحديد الهوية^(٣)، فهو رغم جرأته في طرح قضايا وأفكاره يبقى مجهول الهوية، وكما يملك الواقع الافتراضي - كما يقول جيل دلوز - واقعاً كاملاً بصفته افتراضياً^(٤)، فكذلك حال الملحد العربي في العالم الجديد الشجاع، فهو بهويته الافتراضية يملك واقعاً كاملاً بصفته افتراضياً.

فهذه الحربائية والتلون في التصورات تجعل الفرد الرقمي مهزوز الهوية غير قادر على أن يحيا في الواقع بهوية واضحة صريحة ثابتة.

« تبني بعض الحملات التي تستهدف العلماء وتسيء للدين.

« التسطيح الفكري والثقافي من خلال الترويج لقيم ومظاهر جديدة مستوردة، تخدم النظام العالمي.

فكل هذه المظاهر أثرت على الهوية الإسلامية للشباب، وأدت إلى وقوع ارتباك في هويتهم الدينية فضلاً عن تصوراتهم ورواؤهم عن موقعهم الوجودي في الكون وعلاقتهم بالآخر، ومن أهم مظاهر هذا الاضطراب الهوياتي:

- اضطراب الهوية العقدية:

تعتمد العولمة على قوتها في إذابة كل العناصر ذات الخصوصية المحلية أو التحيزية، فهي تفرض اللغة الإنجليزية الأمريكية كنموذج خطابي تواصل بقوة مصطلحاتها التقنية الحصرية للبرامج والتطبيقات ونماذج التنمية البشرية ومناهج البحث العلمية، أي أنها تمتلك قوة تصنيع المصطلح ونشره وفرضه عالمياً، مما يصحبه فرض اللغة التي تخلق هذا الكم الهائل والمتسارع من المصطلحات، وبما أن اللغة هي ثقافة وأفكار وأساليب عيش وتعامل وتربية ومعتقدات، لذا يلاحظ أن الكثير من الأفكار العالمية أو العادات تكتسب العالمية بمجرد تبني المجتمع الأمريكي لها، فيتم ضخها عبر الأفلام والمسلسلات التلفزيونية وبرامج التواصل الاجتماعي، حتى تصل لدرجة الثقافة العالمية.

ومن الأمثلة على ذلك أن «اليوجا» في الأصل معتقد هندوسي؛ فهي رياضة تعبدية تسعى للاتحاد بالإله، لكنها حينما انتقلت لأمريكا انتشرت كرياضة استرخاء وتأمل نفسي، ثم انتشرت عالمياً^(١)، ولا يخفى علينا الأثر العقدي لمثل هذه الرياضات الروحية على هوية الشباب العقدية.

وإلى جانب ضخ العالم الافتراضي بمعتقدات هذه الديانات الروحية ووصلها بالتأمل ومسميات الطاقة، بدأت تملو موجة شكوكية في الهوية العقدية للمسلم نتيجة انتشار الأفكار الإلحادية في

(١) ينظر: تحديات العولمة الرقمية على الهوية الدينية للجيل Z، عبد الكريم بليل، ص (١٨-١٩)، رابط الورقة: <https://zenodo.org/records/5202733>

(٢) في بحث أجراه قسم المتابعة الإعلامية لـ bbc عن كلمة «الإلحاد» على شبكات التواصل الاجتماعي، تبين أن مئات الصفحات على فيسبوك وحسابات تويتر التابعة «للملحدين» من العالم العربي جذبت آلاف المتابعين لها. ينظر: الإلحاد في العالم العربي: لماذا تخلى البعض عن الدين؟ أحمد نور، ينظر: http://www.bbc.com/arabic/middleeast/2015/08/150831_arab_atheism

(٣) مادة بعنوان: المتشككون الدينيون العرب على الإنترنت، Arab Religious Skeptics Online، على موقع: cyber.harvard.edu، للكاتب: حلمي نعمان، Helmi Noman، ٥ فبراير ٢٠١٥م، رابط المادة: https://cyber.harvard.edu/publications/2015/arab_religious_skeptics_online

(٤) ينظر: مقدمة كتاب «الافتراضي ما هو؟ وما علاقته بالواقع؟»، لبير ليفي، ترجمة: رياض الكحال، ص (٩).

- اضطراب الهوية الفقهية (الفتوى الإلكترونية):

أضحى الفضاء الرقمي عالمًا تتقاطر منه الفتاوى الفقهية، وسوقًا تتعدد فيه صنوف الفتوى، بل إن المستفتي لم يعد يراعي الحدود المذهبية في أخذ فتواه، ولا عمن يأخذ هذه الفتوى.

فمحرك البحث صار مفتيًا عالميًا، ولم تعد علوم الشريعة تؤخذ فقط من الجامعات والمدارس والمساجد والمشايخ، فقد تراجع دورهم لدى الجيل الرقمي باكتساح التقنية الرقمية لمجال الفتوى والتعليم؛ لأن العلاقة بين المسلم من الجيل الرقمي والويب علاقة مباشرة بثقة جد عالية، أقصت العلاقة التقليدية بين المتعلم والمعلم، وبين المؤسسة الدينية والمنخرطين، وأنهت الرقابة والمتابعة وضمان الجودة والأهلية، ليخلق (دين الفوضى)، عبر تسلق من لا تكوين لديه لكرسي الفتوى^(١).

وقد أدى انفراط عقد الفتوى للدخول في فوضى الفتاوى، وانتشار صفحات ومواقع وقنوات لباحثين لا يملكون تأصيلًا في العلوم الشرعية ولا علوم الآلة ولا العلوم الخادمة، ينافحون عن رؤاهم الدينية التجديدية بزعمهم، ويحقرون من علماء المؤسسات الرسمية وغيرهم من أهل الاختصاص، فانطلق من درس علم النفس أو علم الاجتماع أو الهندسة لانتقاد الخطاب الديني، ثم التاريخ الإسلامي ثم علوم الحديث ثم الفقه، وقدم نفسه كمنظر إسلامي حدathi تنويري، فأفرز في المقابل انتشار فتاوى شباب يخوض في مسائل دقيقة، وينشر أفكارًا تكفيرية، ويسارع للتبذير والحرب الكلامية مع الفرق والطوائف الإسلامية تحت ذريعة الدعوة والردود، والخطر الآن أكبر مع جيل رقمي، لن يرهق نفسه في البحث عن مظان المسائل داخل أمهات المصنفات؛ لأن عالم الشبكة المفتوحة اليوم أتاح القدرة لجميع الأفراد للوصول إلى المعلومة والتحقق منها^(٢).

خاتمة:

بعد الارتحال من عالم الواقع إلى العالم الافتراضي أو ما يمكن أن نصطلح عليه بـ «العالم الجديد الشجاع» الذي خول لإنسان العصر استبدال هويته الواقعية بهوية افتراضية مرنة، يمكن الخلوص إلى النتائج التالية:

- * يبقى مفهوم الهوية غامضًا وملتبسًا في العصر الرقمي، ودخول الإنسان لعالم ما بعد الحداثة.
 - * لم تعد الهوية بذلك الثبات الذي كان عند الأجيال السابقة، بل أضحى الإنسان الافتراضي لهذا الجيل يغير من جلد هويته وهو يتصفح العوالم الرقمية.
 - * يعد الثبات على الهوية الإسلامية بعد دخول الإنسان المسلم العالم الافتراضي ضرورة وجودية وذلك بتفعيل النموذج القدوة في نفوس الأبناء وربطهم بماضيهم.
 - * أدى تعدد الاختيارات الهوياتية في العالم الرقمي إلى شعور الشباب باليأس والقنوط والارتباك.
 - * يؤدي الخلل في الثلاثية الركائزية (العقيدة - الأخلاق - العمل) إلى خلل في تمثيل الهوية الدينية الإسلامية.
 - * يعد اضطراب الهوية العقدية من أبرز معالم اضطراب الهوية الدينية لدى الشباب، ويظهر هذا الاضطراب في الإغلاء من صوت الشكوكية وبت الشبهات في نفوس الشباب.
- فهذه هي أهم النتائج التي ساقنا إليها البحث، وتعد لباب التحديات الكبرى التي تواجه الهوية الدينية، والتي تحتم علينا أفرادًا ومؤسسات أن نتصدى لها بالدخول توعية وبيانا إلى هذا العالم الجديد الشجاع.

أتاحت الوسائط الاجتماعية للملحدين إمكانية بناء مجتمع افتراضي له هويته الخاصة، قائم على إنكار المقدس ومهاجمته، ونشر شبهاتهم وأفكارهم بين الفئة الشبابية القابلة للتأثر، واختلاق احتجاجات افتراضية تهم قضايا الملحد في المجتمع العربي

(١) ينظر: التدين الشبكي الرقمي الإسلامي، ص (٦٠٧).

(٢) ينظر: المرجع السابق، ص (٦١١).

كيف يصبح الحوار الأسلوب الأمثل لحل الخلافات الزوجية؟

أ. تسنيم عبد الرحمن النمر^(*)

الحوار بين الزوجين وسيلة لبناء علاقة مستقرة وتجاوز الخلافات الناتجة عن اختلاف الطباع أو الخلفيات أو المعتقدات، ونجاح الزواج لا يقوم على إزالة الاختلافات بل على إدارتها بحكمة ومرونة، فالنقاش الهادئ، والاحترام، وتجنب الاتهام أو رفع الصوت: أساس لحل المشكلات. وتُظهر نماذج من التراث الإسلامي أن الحوار الصادق والمبكر يضمن التفاهم والسكينة، فيما تُعد المبالغة في المكاشفة أو «الفضفضة» -أحياناً- سبباً لتصدع العلاقة.

أمور قد تتسبب في الخلافات الزوجية وتستلزم الحوار لحلها:

« اختلاف الطباع ووجهات النظر:

من أبرز أمثلة تلك الخلافات الدائمة تلك التي تدور حول اختلاف الطباع، مثل أن يكون أحدهما عجولاً والآخر بطيئاً، أو أن يكون أحدهما عصبيّاً والآخر هادئاً الأعصاب، أو حسن الخلق في مقابل سيئها، أو يكون شخصاً منطوياً وصاحبه اجتماعياً، أو يكون كثير الكلام والآخر قليله، أو أن يحب أحدهما الخروج ويميل الآخر للجلوس في المنزل.

ورغم أن التناقض لا يعكس بالضرورة في كل مرة الحسن وما يقابله من سيء الطباع، بل قد

يُعد الحوار لبنة أساسية في أي علاقة إنسانية عميقة ووطيدة وطويلة الأمد، ولكن عادة ما يأخذ الحوار في العلاقة الزوجية منحى مختلفاً وأهمية أكبر؛ ذلك أن مؤسسة الزواج في إسلامنا تتضمن اجتماع فردين مختلفين قليلاً أو كثيراً -وربما متناقضين أحياناً- على أمل بناء أسرة مسلمة وسوية، ونظراً لمحورية دور الحوار في حل كثير من المشاكل الزوجية، أردنا أن نوضح في هذا المقال: طرْحاً لبعض أبرز المسائل التي تسبب الخلافات الزوجية، واقتراحات لأساليب الحوار الناجحة في العلاقة الزوجية، وأمثلة من ثقافتنا العربية والإسلامية على كيفية حل بعض المشاكل الزوجية والحفاظ على نجاح العلاقة، ومتى قد يشكل الحوار في بعض الموضوعات خطراً على العلاقة الزوجية.

(*) كاتبة ومترجمة من مصر، مهتمة بقضايا التعليم والأسرة والعلاقات والتطوير الذاتي.

العظمى من الخلافات تُعد دائمة، فإن طريقة غوتمان تركز بشكل خاص على مساعدة الأزواج في تعلم كيفية التعايش مع هذا النوع من الخلافات، وهذا هو دور الحوار.

« الخلافات الدينية:

وقد يظهر ذلك من خلال الاختلاف في درجة التدين والالتزام بالفرائض والنوافل وغيرها، كأن يكون أحدهما متديناً أو حريصاً على الفرائض والنوافل، أو محباً لإخراج الصدقات، بينما يكون الآخر على النقيض تماماً. وقد يختار رجل امرأة غير محبة للزواج على أمل أن يُقنعها بارتداء الحجاب لاحقاً، غير مدرك أنها لا تفكر أصلاً في هذا الأمر ولا ترغب فيه، وهكذا؛ فيحدث الصدام بعد الزواج بين محاولة الزوج إقناع زوجته بأمر لا ترغب فيه، وصدمة الزوجة التي ظنت أن زوجها قبلها على حالها التي كانت عليها قبل الزواج! والأمر ذاته ينطبق على المرأة التي تعرف قبل الزواج أن الرجل الذي تقدّم لخطبتها لا يُصلي أو لا يحافظ على الصلاة، وحين تناقشه لا ترى بادرة أو رغبة في التغيير، ولكنها تتزوجه على أي حال مؤمّلة في قدرتها على إقناعه وتغييره بعد الزواج!

« الاختلافات الاجتماعية:

من أشهر المشكلات كذلك الاختلاف في المستوى الاجتماعي والطبقي، أو اختلاف العادات، أو المستوى المادي، أو الخلفية الثقافية أو البيئة الأسرية.

ورغم أن الكثير من الزوجات أثبتت نجاحها رغم الهوة الكبيرة في المكانة الاجتماعية بين الأزواج واختلاف المستوى الاقتصادي ومستوى الثراء، فهذا لا ينفي كونه تحدياً كبيراً وصعباً، ويحتاج للحوار والنقاش البناء بين الزوجين حتى يبنوا حياة طيبة معاً بعيدة عن المعايير والعقد النفسية والمقارنات المجحفة.

ولعل من أهم طرق الحوار لحل هذه المشكلات:

1. الاتفاق على المشتركات من خلال تحديد أرضية مشتركة من العادات المقبولة عند الطرفين، والتنازل عن بعض التفاصيل الثانوية.

يكون مجرد اختلاف في الطبائع البشرية؛ لكنه يؤدي إلى رغبة دائمة -وربما غير مجدية- في تغيير الطرف الآخر أو إلى خلافات دائمة مستمرة.

والمشكلة في كثير من الأحيان لا تكمن في وجود التناقض في حد ذاته، بل في تحوله إلى خلاف ورغبة مستميتة لدى أحد الطرفين أو كليهما في تغيير الآخر عوضاً عن التأقلم والتقبل، فالاختلافات في وجهات النظر فيما يتعلق بإدارة شؤون المنزل -من تنظيف وترتيب وإنفاق وإعداد للطعام وغيره- لا بد من التفاوض بشأنها للوصول إلى حلول يرضيها جميع الأطراف.

أثبتت الإحصاءات والدراسات العلمية أن قوة مفعول الحوار تخبو في مثل هذا النوع من الخلافات إذا كان هدفه هو الوصول إلى حل دائم، يقول جون غوتمان John Gottman -وهو عالم نفس أمريكي وباحث في شؤون العلاقات الزوجية- من خلال طريقته المشهورة بـ «طريقة جوتمان»^(١): «إن الحوار والتفاعل بين الأزواج يتخذ مساراً واحداً بمرور الزمن، وحوالي ٦٩٪ من المشكلات بين الطرفين هي مشكلات دائمة لا تُحل أبداً لأنها ناتجة عن اختلافات جوهرية في الشخصيات، ولكن قد يمكن إدارتها والتعامل معها».

«إن الحوار والتفاعل بين الأزواج يتخذ مساراً واحداً بمرور الزمن، وحوالي ٦٩٪ من المشكلات بين الطرفين هي مشكلات دائمة لا تُحل أبداً لأنها ناتجة عن اختلافات جوهرية في الشخصيات، ولكن قد يمكن إدارتها والتعامل معها»

جون غوتمان John Gottman

وكانت هذه واحدة من النتائج التي وصل لها «جوتمان» على مدار أكثر من أربعين عاماً، وأجرى جون غوتمان مئات الدراسات التجريبية على أكثر من ثلاثة آلاف زوج، واستناداً على أبحاثه أكد غوتمان أنه رغم شعور بعض الأزواج بأن علاقاتهم فريدة من نوعها، فإن الخلافات الزوجية في نهاية المطاف تنقسم إلى فئتين لا غير: فهي إما خلافات قابلة للحل، أو خلافات دائمة. ونظراً لأن الغالبية

(١) هي نهج في العلاج الزوجي يركز على بناء علاقات صحية ومستقرة من خلال فهم وتحسين الصداقة، وإدارة النزاعات، وبناء معنى مشترك في العلاقة، وفي الرابط الآتي نظرة عامة على طريقة ميثود: <https://www.verywellmind.com/what-is-the-gottman-method> utm_source=chatgpt.com?o1٩١٤٠٨

وأنها وافقت عليه، ومن ثم فلا حق لها في الشكوى لأمر كانت على علم مسبق به.

وإذا ما تجاوزنا مشكلة الخصوصية، فمن المشاكل المعروفة الأخرى فيما يتعلق بعيش الزوجة مع أسرة الزوج أو إقامة الحماة في بيت الزوجية هو الخلط بين الواجب والمعروف. وقد عجت وسائل التواصل الاجتماعي في الآونة الأخيرة بشكاوى آلاف الزوجات من خلفيات دينية وثقافية مختلفة جراء العبء الذي يُلقى على عواتقهن من خدمة أهل الزوج سواء الأم أو الأب أو كليهما، والذي يتضمن أحياناً التمريض والخدمة الدائمة على مدار اليوم بالإضافة لواجبات الزوجية ورعاية الأطفال. وعوضاً عن التقدير والدعم، عادة ما تتهم الزوجة بالتقصير في حق أهل الزوج أو الزوج نفسه، لعدم قدرتها على التوفيق بين أمرين لا يعد أحدهما من واجباتها الشرعية أصلاً، وهو خدمة أهل الزوج ورعايتهم.

وليس الغرض هنا تشويه صورة الحياة في بيت الأسرة بعد الزواج ولا تنفير الناس منها، كما لا نقول هنا برأي دون آخر؛ فكل أدري بما يصلح له، وحرّ فيما يختاره من نظام لمعيشته ما دام لم يخالف شرع الله تعالى. وإنما نرى وجوب أن يدرك كل فرد تبعات قراره، وأن يعرف ما له وما عليه بالإضافة للحدود التي يجب عليه الوقوف عندها.

كما ننبه بهذا الكلام إلى أهمية الحرص على اختيار الأسرة عند الزواج وليس شريك الحياة فحسب، وعدم الانسياق وراء دراميات المسلسلات والأفلام التي تنادي بأولوية اختيار الشريك وأنه بانصلاح العلاقة بين الزوجين ينصلح كل شيء وتنقشع كل المشاكل، فالواقع والإحصاءات تقول بغير ذلك، حيث أفاد استطلاع نشر في جريدة الجارديان The Guardian البريطانية -أجراه مجموعة من محامي قانون الأسرة- بأنه ما يقارب من ٢٠٪ من حالات الطلاق هي نتيجة ضغوط من أفراد أسرة الزوج أو الزوجة، مما يجعل مشاكل الأسرة ثاني أكثر أسباب الطلاق شيوعاً بعد الخيانة الزوجية (وهي حوالي ٢٧٪)^(١). وفي دراسة في ماليزيا نسبت ٣٠٪ من حالات الطلاق إلى

٢. المرونة والتنازل المتبادل، فليس من الضروري أن يفرض أحد الزوجين عاداته أو نظرتة بالكامل، بل يمكن التناوب في اتباع العادات أو تطبيق بعض الأمور العائلية.

٣. تحديد حدود واضحة في الأمور العائلية والاجتماعية، دون أن تكون على حساب استقرار الأسرة الصغيرة.

رغم أن الكثير من الزوجات أثبتت نجاحها رغم الهوة الكبيرة في المكانة الاجتماعية بين الأزواج واختلاف المستوى الاقتصادي ومستوى الثراء؛ إلا أن هذا لا ينفي كونه تحدياً كبيراً وصعباً، ويحتاج للحوار والنقاش البناء بين الزوجين حتى يبنوا حياةً طيبةً معاً بعيدة عن المعايير والعقد النفسية والمقارنات المحففة

مناقشة المشكلات الناتجة عن العيش في بيت الأهل (نموذجاً):

وهي من الأمور التي قد تستصغرها بعض النساء قبل الزواج، وقد لا يحرصن على الاستفسار عنها، وقد لا يتطوع الطرف الآخر بالتوضيح الشافي من تلقاء نفسه في معظم الأحيان. فما يحدث بعد الزواج هو أن تعاتب الزوجة زوجها أنه لم يوضح لها حقيقة الأمور، وبالنسبة للزوج فهو يرى الأمور «معلومة بالضرورة»، بالإضافة لكونها معقولة ومقبولة وغير قابلة للنقاش ما دام أن الزوجة قبلت مسألة العيش مع أسرته بادئ ذي بدء. وقد أخبرتني فتاة مرة أن خطيبها اتفق معها على الإقامة في بيت أسرته بعد الزواج، وقد وافقت على هذا من منطلق أن لهم شقتهم الخاصة بهم، وأسرة زوجها كلها تعيش في البناء نفسه، وما ظنته الفتاة وافترضته -من تلقاء نفسها- أن المتوقع منها هو تناول وجبات الطعام مع أسرة زوجها فحسب، ثم ينطلق كل لشؤونه، ولكن ما حصل بعد الزواج هو أن حماة الفتاة لم تكف عن زيارتهم طوال الوقت سواء كان زوجها موجوداً أم لا! حتى لم يعد للفتاة أي خصوصية، وحين شكت لزوجها أخبرها بأنه قد أعلمها بالأمر قبل الزواج

(١) دراسة بعنوان: الأصهار هم من يتحملون اللوم في حالات الطلاق، theguardian.com/uk/2005/jan/23/anushkaasthana.theobserver

تدخل أهل الزوج أو الزوجة^(١). كما ذكرت إحدى الدراسات التي أجريت في السعودية أن ٥٠٪ من المشكلات الزوجية كانت مرتبطة بعلاقة الزوجين مع الحماة، و٣٪ من تلك الحالات انتهت بالطلاق بسبب هذه المشكلات^(٢).

وهنا يأتي دور الحوار الذي ينبغي أن يرافق مشروع الزواج في كل مراحله، فعند مرحلة الخطبة والتعرف على الشريك لا يترك المجال للمسلّمات والافتراضات، بل لا بد من الحوار حول أمور كثيرة، ولا بد أن تشمل طبيعة العيش في بيت الأسرة وحدود الواجبات والحقوق بين الزوجين، والوصول إلى صيغ مقنعة للطرفين دون إحجاف أو محاباة، مع ترك مساحة للإحسان والبر الزائد عن الحد الواجب.

فعلى الزوجة أن تسأل وعلى الزوج أن يوضح، وإذا تم الاتفاق على بعض القواعد فلا بد من حمايتها بما لا يخالف الشريعة، وبما لا يضر بمصالح الأسرة أو الوالدين، أما العادات الاجتماعية الزائدة عن حدود الشرع والذوق فلا بد من العمل على التخفيف منها والوقوف بوجهها تدريجياً حتى تزول وتنتهي.

مقترحات لأساليب الحوار الناجحة في العلاقة الزوجية:

في مقال بعنوان «كيف تتكلم أثناء الخلاف الزوجي؟» للدكتور جاسم المطوع^(٣)، مجموعة من النصائح العملية لتسهيل الحوار وفك الاشتباك وقت الخلاف، ومن أبرزها:

« ضرورة أن يشعر الزوج أو الزوجة أن الطرف الآخر مهم في حياته ويقبله كما هو، وبالتالي سيتعامل مع الخلاف على أنه هو الوضع المؤقت وليست العلاقة الزوجية والتي يود استمرارها من خلال حل الخلافات.

« تجنب رفع الصوت والكلام الجارح، كما يفضل استخدام عبارات من مثل: «أنا أشعر...»، «أنا أفكر...»، بدلاً من «أنت ظلمت»، «أنت أخطأت»، لتخفيف التوتر ووقوع العتاب وحدة النقاش.

« الاعتذار حتى لو لم تكن الطرف المخطئ وهي طريقة ذكية لتهدئة الموقف.

« استخدام أمثلة محددة بدل التعميمات، والابتعاد عن إعادة فتح ملفات الماضي أثناء مناقشة المشكلة القائمة حالياً.

كما وضع الدكتور قواعد واضحة للحوار البناء في العلاقات الزوجية مثل:

« الحوار يجب أن يكون بناءً ويفضي إلى نتيجة تحل المشكلة وترضي كلا الطرفين قدر المستطاع، وليس رغبة في انتصار طرف على آخر.

« عدم إشراك طرف ثالث لأن للعلاقة الزوجية خصوصية يفضل عدم مشاركتها سيما مع المقربين.

« إدراك أن اختلاف الرأي لا يفسد للود قضية.

« استخدام نبرة هادئة مع الابتسام وتجنب صيغة الأمر، والبدء بالثوابت والأمور التي يتفق عليها الطرفان.

« تجنب السخرية، والمقاطعة، والعتاب الحاد أو المهين. وإن تحولت المناقشة إلى شجار فيُنصح بالتوقف عن النقاش ثم العودة للحديث لاحقاً بعد هدوء النفوس وانخفاض حدة النقاش.

وما يفيد في هذا السياق ما أورده مقال بعنوان «تحيات التواصل» للكاتب والفيلسوف البريطاني «ألان دو بوتون» Alain de Botton تكلم فيها عن العقبات الشائعة في العلاقات، وقدم جملة من النصائح مثل: توقّع أن يقرأ الزوج أو الزوجة أفكارك، وتجنّب التعبير عما تريد بشكل مباشر، أو افتعال شجار بدلاً من النقاش الهادئ، أو الانعزال والتجهم عند الشعور بعدم الرضا.

ويذكر «دو بوتون» في مقال آخر بعنوان «تاريخ الجدل» أن الجدل ينشأ غالباً من محاولات يائسة ليفهمنا الطرف الآخر، لكنها تفشل لأننا نعبر بصورة جارحة بدلاً من توضيح ما نشعر به حقيقة، فنحن نكثر الجدل ونتجنب الحوار

(١) دراسة بعنوان: الحموات وراء حالات الطلاق الهندية في ماليزيا، Mother-in-laws behind Indian divorces in Malaysia، صحيفة هندستان تايمز، مايو ٢٠٠٩م، hindustantimes.com/world/mother-in-laws-behind-indian-divorces-in-malaysia/story-KIXISXMHddy8A38fqyGiwL.html.

(٢) تقرير بعنوان: الحموات وراء ٣٪ من حالات الطلاق، Mothers-in-law behind 3% of divorce cases، موقع عرب نيوز، arabnews.com/node/992636/saudi-arabia.

(٣) إعلامي كويتي، ورئيس قناة اقرأ الفضائية، ورائد في المجال التربوي الأسري، ويعتبر من المتخصصين في مجال الأسرة والزواج والتربية والشباب.

من العيش سويًا بسكينة وسلام وبشكل مُرضٍ للطرفين قدر الإمكان. أما أن نأمل أن ينتهي كل حوار باجتثاث المشكلة من جذورها، والتخلص من أصولها وفروعها، فهذا أمر من العسير بمكان في كثير من الأحيان.

٢. مشكلة الاختلاف الثقافي والاجتماعي (خليفة المسلمين عمر بن عبد العزيز رحمه الله وزوجه فاطمة بنت عبد الملك نموذجًا):

فقد روي أنه لما تولى عمر بن عبد العزيز الخلافة عزم أن يعيش حياة زهد وتقوى وورع، فأراد أن يضرب المثل بنفسه وبأهل بيته، فخطب زوجته فاطمة وقال لها: «يا فاطمة، إن أردتِ صحبتي فاطرحي عنكِ حُلِيَّ هذا، واختاري العيش معي على ما ترين، وإن شئتِ أخذتِ متاعك ورجعتِ إلى أهلك»، فأجابت بقولها المشهور الذي خلده التاريخ: «بل أختارك يا أمير المؤمنين، وما كنتُ لأفارقك»؛ فقامت فاطمة بنت عبد الملك ببيع حُلِيِّها ووضعت مالها في بيت مال المسلمين، وشاركت زوجها حياة الزهد التي اختارها. وهذا دليل واقعي وحي على أنه لا يوجد عائق قطعي لعدم نجاح الزواج بين اثنين من ثقافة أو طبقة اجتماعية مختلفة، طالما تحاورا بصراحة بينهما كما فعل عمر بن عبد العزيز رحمه الله وزوجه، واتفق كلاهما على المعيشة التي يرتضيانها لأنفسهما.

ومع تغَيّر الزمان وتبدّل الأحوال وتفاوت معادن الناس، فإنّ الحكمة تقتضي أن يكون الحوار حول تلك القضايا الجوهرية قبل الزواج لا بعده؛ فليس كل الناس مثل فاطمة -رحمها الله- قادر على اتخاذ قرار بهذه الدرجة من الأهمية والتأثير للمحافظة على الأسرة واستقرارها.

وتنطبق القاعدة نفسها أو تقاربها شيئًا ما فيما يتعلق بمسألة العقيدة، فإذا ناقش الطرفان وجهات نظرهما قبل الزواج، ولم يبد أي منهما رغبة في التراجع، فعلى كل طرف اتخاذ قرار الزواج من عدمه بناءً عليه، وعدم المضي قدمًا في الزواج تاركين المسألة معلقة، ودون الاتفاق على آلية للتعامل معها.

على صعيد آخر، فإن هذا لا يعني عدم جدوى الحوار في أمور الدين، ونمط الحياة بعد الزواج، فالأمر في النهاية هو توفير هداية من الله سبحانه وتعالى لمن يشاء، وما أكثر من يستمعون القول

الحقيقي المفيد ليس لعدم اهتمامنا بأزواجنا، بل لأن شدة انفعالنا تطغى على قدرتنا على التواصل البناء الذي يسهم في حل المشاكل بدل استفحالها.

أمثلة من تاريخنا تدل على أهمية الحوار وجدواه في حل المشاكل الزوجية:

١. في اختلاف الطبائع ووجهات النظر: (الكاتب المصري أحمد أمين نموذجًا):

روى أحمد أمين في كتابه «حياتي» كيف كان يرى حاجته للخلو بنفسه لساعات ليقرأ ويكتب دون مقاطعة، ولكن زوجته في البداية لم تكن مقتنعة بأن ينطوي على نفسه ويغيب عنها وعن الأطفال كل هذا الوقت، ورأت أنه بذلك يقصّر في حقها وحق أسرته، وحصل شدّ وجذب بينهما، إلى أن توصلا إلى اتفاق في النهاية وهو أن يُخصّص أحمد أمين وقتًا محددًا يقضيه وسط كتبه وكتاباته، مقابل ألا يطغى هذا على حقوق البيت والعائلة، حيث كان سبب الخلاف الأساسي بينهما أنه كان يحاول أن يوجد توازنًا بين حياته الفكرية ومسؤولياته الأسرية، بينما حرصت زوجته ألا يتأثر البيت أو العشرة الزوجية بانشغاله بالكتابة وطلب العلم، ونجحا بالحوار في التوصل لحل وسط يرضي الطرفين.

وبالنسبة لاختلافهما في وجهات النظر فيما يتعلق بإدارة شؤون المنزل، فقد أراد أحمد أمين أن يكون له رأي في اختيار الخادمة، باعتبار أن وجودها في البيت يمس حياة الأسرة كلها، بيد أن زوجته ارتأت أن هذا شأن يخصّها هي بالدرجة الأولى، لأنها هي التي تدير البيت وتتعامل مع الخادمة بشكل مباشر وبصورة يومية، فبالخلاف كان على من تكون له الكلمة الأخيرة في الاختيار، وانتهى الأمر بأن ترك أحمد أمين القرار لزوجته احترامًا لها، ولأنها الأعرف بما يلزم شؤون البيت.

لربما يرى البعض في الخلافين السابقين بين أحمد أمين وزوجه أن ما حصل هو تنازل أحد الطرفين لصالح الآخر، فقد ارتضت الزوجة في النهاية أن يكون لزوجها وقته المستقل الذي يختلي فيه بنفسه رغم عدم رضاها التام عن هذا الأمر، وفي مسألة الخادمة تنازل أحمد أمين لصالح زوجته احترامًا لها ولرأيها! هذا يعلمنا أن أهمية الحوار أحيانًا تكمن في إنهاء الخلاف والوصول لنقطة توافق أو حل وسط، حتى يتمكن الزوجان

مقترحات لأساليب الحوار الناجحة في العلاقة الزوجية

ضرورة إشعار الطرف الآخر أنه مهم وتقيله كما هو، وأن الخلاف وضع مؤقت وليست الأصل

تجنب رفع الصوت والكلام الجارح، وألفاظ الخطاب، لتخفيف التوتر وحدة النقاش

الاعتذار حتى لو لم تكن الطرف المخطئ لتهدئة الموقف

استخدام أمثلة محددة بدل التعميمات، والابتعاد عن إعادة فتح لماضي أثناء النقاش الحالي

الحوار يجب أن يكون بناءً ويفضي إلى نتيجة حل المشكلة وليس رغبة في الانتصار على الآخر

عدم إشراك طرف ثالث، لأن للعلاقة الزوجية خصوصية يفضل عدم مشاركتها

إدراك أن اختلاف الرأي لا يفسد للود قضية

استخدام نبرة هادئة وتجنب صيغة الأمر، والبعد بالثوابت والأمور التي يتفق عليها الطرفان

تجنب السخرية، والمقاطعة، والعتاب الحاد أو المهين

إن تحولت المناقشة إلى شجار فيُنصح بالتوقف ثم العودة لاحقاً بعد الهدوء

٤. مشكلة العلاقة الخاصة وعدم الاهتمام بين الأزواج (قصة زوجة عثمان بن مظعون رضي الله عنه):

عن عروة قال: دخلت امرأة عثمان بن مظعون -خولة بنت حكيم- على عائشة، وهي باذة الهيئة، فسألتها: ما شأنك؟ فقالت: زوجي يقوم الليل ويصوم النهار، فدخل النبي ﷺ فذكرت عائشة ذلك له، فلقي رسول الله ﷺ عثمان فقال: (يا عثمان، إنَّ الرهبانية لم تُكتب علينا، أفما لك في أسوة؟ فوالله إني أخشاكم لله، وأحفظكم لحدوده) ^(١).

فكان أن استمع عثمان بن مظعون رضي الله عنه للنصيحة وحرص على الموازنة بين العبادة وحقوق الأهل.

وهذا النوع من الحوار الذي دار بين خولة بنت حكيم والسيدة عائشة رضي الله عنها يعتبر نموذجاً مثالياً تستدل منه النساء على مَنْ ينبغي لها استشارتهم في مشاكلها الزوجية، خاصة الحساسة منها. فالسيدة عائشة رضي الله عنها لم تكتفِ بالاستماع فحسب واعتبار كلام صاحبها في حق زوجها مجرد «فضفضة» والسلام، بل حرصت على إيجاد حل لها بإعلام النبي ﷺ، والذي لم يكتفِ بمعاتبة سيدنا عثمان بن مظعون رضي الله عنه فحسب، بل وجّه الرسالة لعامة المسلمين عسى أن يكون في نسايتهم من يعاني

فيتبعون أحسنه. فبعض الأزواج ينجح في إقناع زوجته بارتداء الحجاب، والكثير من الزوجات يشكرن ذلك لأزواجهن. وبعض المسلمات الجدييات يذكرن أن سبب إسلامهن كان أزواجهن وحرصهم على تطبيق شرائع الإسلام. وكذلك تنجح بعض الزوجات في جعل زوجها يحافظ على الجماعة في وقتها والإكثار من الصدقات. فليس لنا أن نتغاضى عن الأثر الطيب الذي يحدثه الحوار الراقى بين الأزواج، وقدرته على إحداث الفرق والتغيير في مسألة الالتزام بفرائض الله وشعائر الدين وحتى فضائل الأعمال.

٣. وضع قواعد للخلافات الأسرية (قصة أبي الدرداء مثلاً):

فالاتفاق على هذه القواعد يساعد الزوجين على التواصل بطريقة محترمة ومنظمة، مما يوفر بيئة آمنة للتعبير عن الآراء والمشاعر، ويبني الثقة بين الطرفين، ويعزز التفاهم ويقلل من سوء الفهم، مثل أخذ استراحة عند الغضب أو تحديد وقت للنقاش، ونحو ذلك.

ومثاله ما ورد عن أبي الدرداء رضي الله عنه أنه قال لزوجته: «إذا غَضِبْتُ فَرَضِّينِي، وإذا غَضِبْتُ رَضِّينِي، فإذا لم نَكُنْ هكذا ما أَسْرَعَ ما نَفْتَرِقُ» ^(١).

(١) روضة العقلاء، لابن حبان، ص (٧٢).

(٢) أخرجه أحمد (٢٥٨٩٣)، باذة الهيئة: سيئة الهيئة.

والسبب في ذلك أن الغالبية العظمى من الصدمات النفسية -إن لم يكن كلها- حدثت وانتهت، ولا يملك المستمع إلا التعاطف أو الرغبة في الدعم وحل المشكلة، والإشكالية تكمن في أن الزوج قد يعجز عن التعاطف أو التعبير عن رأيه، أو إبداء ردة الفعل المناسبة أو المرضية لزوجته، والعكس صحيح. كما قد يصاب بالاستنزاف العاطفي، وتراوده مشاعر العجز والقلق والضيق والإرهاق النفسي. والأخطر من كل هذا أنه قد يشعر بالعجز تجاه الطرف الآخر لأنه لم يستطع مساعدته آنذاك، أو يتأثر بوقع الموقف وملابسات القصة، وقد تتغير نظرتة لزوجته بصورة غير محمودة، والعكس صحيح. لذا ينصح أساتذة علم النفس بتجنب مشاركة هذا النوع من «الفضفضة» حفاظاً على الود والاحترام وصفاء العلاقة بين الأزواج.

الدراسات النفسية أكدت أن هناك نوعيات معينة من الحوارات و«الفضفضة» تضر بالعلاقة الزوجية أكثر مما تنفعها، من أبرزها: التعامل مع الزوجة أو الزوج على أنه طبيب أو معالج نفسي، وتوقع مساعدته في تخطي جميع أو حتى بعض الصدمات النفسية التي مر بها

وأخيراً:

فإن الحوار بين الأزواج مهم لوضع القواعد والأسس للتعايش والتفاهم، ولتقريب وجهات النظر والوصول لحلول وسط ومرضية للزوجين قدر المستطاع عند حصول الخلاف. والأهم هو فتح الباب لهما ليعيشا في سكينه ووثام، بعد أن تم الحوار واتخذ القرار وانتهى الكلام، واتفقا على التسليم بحكمة الله فيما ساقه من أقدار وأحوال، وارتضيا العيش سوياً في سلام.

والقاعدة الذهبية: أن الاختلافات بين الزوجين يمكن أن تتحول إلى ثراء وتكامل إذا أديرت بالمرونة والاحترام، بدلاً من أن تكون سبباً في الخلافات المستمرة.

من المشكلة نفسها فيتعظ الأزواج ويقومون من سلوكهم.

وهذه المسألة تقارب إلى حد بعيد مشكلة الحقوق المتعلقة بخدمة أهل الزوج التي طرحناها آنفاً، ذلك أن معرفة الحقوق والواجبات بين الأزواج، ورسم حدود واضحة بينهم وبين علاقتههم بأسرهم لا ريب؛ يساعد على بناء علاقة زوجية سوية وناجحة.

متى يهدد الحوار سلامة العلاقة الزوجية؟

هنا جانب قد يؤدي فيه الحوار إلى فجوة في العلاقة الزوجية وربما تدميرها على المدى البعيد، فرغم نداء الكثيرين بأهمية الشفافية بين الزوجين وأن يكون كل شخص كتاباً مفتوحاً أمام الآخر، إلا أن الدراسات النفسية أكدت أن هناك نوعيات معينة من الحوارات و«الفضفضة» تضر بالعلاقة الزوجية أكثر مما تنفعها. من أبرز هذه التصرفات: التعامل مع الزوجة أو الزوج على أنه طبيب أو معالج نفسي، وتوقع مساعدته في تخطي جميع أو حتى بعض الصدمات النفسية التي مر بها الإنسان. وفي مقال بعنوان «شريك حياتك ليس هو طبيبك النفسي» لـ«جولي نوين» (وهي مدربة معتمدة في العلاقات الزوجية وكاتبة في مجال الصحة النفسية) تقول فيه: «قد يكون لدى الطرف المستمع آرائه ومشاعره الخاصة التي قد تؤثر على نصائحه، أو قد يشعر بعدم الارتياح في التعبير عن مشاعره الحقيقية لأنه قد يعتبر ذلك خيانة لثقة الطرف الآخر، والأسوأ من ذلك أنه قد يشعر بمرور الوقت بعدم الأهمية والتقدير نتيجة هيمنة مشاكل زوجه على علاقتهما»^(١).

ومن أشهر أنواع «الفضفضة» التي لا تعد مفيدة بل ويراها علماء النفس مؤذية للعلاقة الزوجية: ما يسمى بالفضفضة المبالغ فيها عن الصدمات النفسية Trauma Dumping، وهي تتلخص في أن يقوم الإنسان بحكاية صدمة أو صدمات عاطفية مر بها لزوجته دون مراعاة الوقت المناسب أو استعداده للاستماع إليه، كما أن مناقشة أو حكاية صدمات معينة -كالتعرض للتحرش والاعتصاب- قد تتسبب في تدمير العلاقة بين الزوجين، وإن أسهمت في إراحة المتكلم شيئاً ما.

(١) مقالة بعنوان: شريكك ليس معالجك النفسي، Your Partner Is Not Your Therapist، موقع verywellmind، verywellmind.com/your-partner-is-not-your-therapist-7098264

اعتبار الصناعة القيمة في التعليقات الفقهية

أ. يوسف العزوزي^(*)

محاسن الدين الإسلامي لا تحصى، والإنسانية التي يُنادى بها اليوم أشبعها الإسلام بما لا مزيد فوقه في أي شريعة أو قانون، ولو وزنت الحضارات التي مرت على البشرية في مجال القيم والأخلاق لرجحت أمة الإسلام بما عندها من وحي، وابتاعها لهذا الوحي، وفي هذه المقالة جانب دقيق قلما يُتناول من أعمال القيم والمبادئ الأخلاقية في التعليقات الفقهية في الشريعة الإسلامية.

مقدمة:

والمعرفة، وتأثيرها على التنشئة التربوية للإنسان، حيث أنتج هذا التصور ما عرف بعد بعلم السلوك الذي برع فيه الغزالي وابن القيم وابن عطاء الله السكندري وغيرهم، وليس ذلك إلا امتدادًا لما كان عليه رسول الله ﷺ الذي قال الله تعالى فيه مدحًا وثناءً ورفعةً وإعلاءً: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤].

وتوضح الأحاديث النبوية الشريفة مكانة القيم والأخلاق في الشريعة الإسلامية وتحت على التحلي بمكارمها والاتصاف بجميلها، فهي من أفضل ما يبلغ به المرء الدرجات الرفيعة، فقال ﷺ: (وَبَيْتٌ فِي أَعْلَى الْجَنَّةِ لِمَنْ حَسُنَ خُلُقُهُ)^(١).

إن المتأمل لنصوص التشريع، المتلذذ بمعانيها وحكمها، يلحظ أن أكثر ما فيها نصوص قيمية تربوية تبث على تقويم علاقة الإنسان بنفسه وعلاقته بغيره، وأن النصوص الشرعية أخلاقية ابتداءً وانتهاءً؛ لفاعليتها ودورها في بناء الإنسان، وتكوين المجتمعات الإنسانية على اختلافها قيمياً، ومركزيتها في تحقيق معنى الوجود البشري، وذلك سواء في العقيدة والعبادة والثقافة والفكر.

لأجل ذلك كانت عناية الإسلام بالأخلاق عناية عظيمة حتى ارتبط تصور المفكرين والمربين المسلمين للقيم بالتصور الشامل للعلم والإيمان

(*) باحث في الدراسات الفقهية والقضايا الشرعية - المغرب.

(١) أخرج أبو داود (٤٨٠٠) عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (أنا زعيم ببيت في رِزْضِ الجنة لمن ترك المراء وإن كان محققاً، وبيت في وسط الجنة لمن ترك الكذب وإن كان مازحاً، وبيت في أعلى الجنة لمن حسن خلقه)، الزعيم: الضامن والكفيل، وريض الجنة: أطرافها لا وسطها.



القيم تمثل المعايير المنظمة للسلوك، والمبادئ السامية التي ينشأ عليها الفرد، كالإحسان والكرامة والرحمة، والفضائل التي يسعى الناس إلى إيجادها متى كان فيها الصلاح والفلاح عاجلاً أو آجلاً، ويحسن التعامل مع المجتمع على نحو يحقق الغاية من وجوده في هذا العالم على أكمل وجه

التعليل - مفهومه ورأي الفقهاء فيه:

تعليل الأحكام الفقهية والقضايا الشرعية سمة بارزة للظهور في الممارسة الفقهية؛ إذ يعتمد الفقيه في الاستدلال وعرض الأحكام، فإذا عرض لمسألة بين وجه العلة والحجة فيها وما انبنى عليه تسويغ الحكم أو منعه، فهو منهج متوارث متواتر في كتب الفقه وسطور الفقهاء الذين غاصوا في أعماق المعاني وخوافيها لاستخراج دررها، واستجلاء عللها وحكمها؛ إيماناً منهم بأهمية هذا المنهج واعترافاً بقيمته، فلا يمكن الحكم بصلاحيّة التشريع لكل زمان ومكان إلا بإدراك العلة وإعمالها.

وما ذلك إلا لأن الفقه يتميز بالطابع العملي ويغلب عليه الاستعمال؛ فكثير من النصوص الشرعية أعملت قضايا التعليل بأمارات وضعها الشارع بقصد الاهتداء إليها، فيمثل التعليل فيها الوساطة بين المجتهدين والأحكام، سواء في ذلك المعاملات والعبادات.

ولأجل ذلك بادر الفقهاء لتعليل ما أمكن تعليله من الأحكام واجتهدوا في الكشف عن أسباب التشريع، ونوعوا العلة إلى علل طيبة وقيمية وشرعية، غير أن منهم من وُفق للكشف عن إدراك العلة، ومنهم من جانب الصواب، والجواد يكبو والنار تخبو وكفى بالمرء شرفاً أن تعد معانيه.

وهذا ليس معناه قصورهم عن درجة الاجتهاد بقدر ما يعني دقة العلة وخفاءها، وقد قال ابن تيمية رحمه الله: «إدراك الصفات المؤثرة في الأحكام على وجهها ومعرفة الحكم والمعاني التي تضمنتها الشريعة من أشرف العلوم، فمنه الجلي الذي يعرفه كثير من الناس، ومنه الدقيق الذي لا يعرفه إلا خواصهم»^(١).

ومن ثم كانت الأخلاق الحسنة هي الخطوة الأولى لولوج أبواب الفلاح والنجاح، فلا يبلغ المرء درجة الفلاح إلا بتركية نفسه بتخليتها بالمكارم والقيم والفضائل، وتخليتها عن القبائح والرذائل، وذلك بالإتيان بالفرائض على الأوجه المشروعة التي طلبها الرب من العباد، فالصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر، ولا تتم بدون تمام الغرض، والصوم صيام النفس والجوارح لتحقيق التقوى، والحج يكمل بالبعد عن اللغو والرفث والفسوق، والزكاة طهارة للمال والنفس وإشاعة للخير، فهي أصول كبرى الغرض منها تحقيق هذه المنظومة القيمية التربوية وربط الأصول بحكمها ومقاصدها.

مفهوم القيم وأهميتها:

لا يختلف اثنان على واقع الأمم المتردي عامة، وما تتخبط فيه من المشكلات، وحالات الوهن الأخلاقي، فما نشاهده ونسمع عنه من الفساد وارتفاع معدلات الجريمة وفقدان الرشاد، كله مؤشر واضح ودليل فاضح على تدني منسوب القيم.

فكانت المنظومة القيمية الركيزة التي تبنى عليها المجتمعات ويعتمد عليها رقيها، وبها يقاس سموها ودنوها، وهي عامل متداخل مع جوانب عدة في حياة الإنسان كافة، ففي كل جانب من جوانب نشاطات أفراد أي مجتمع لا بد من وجود ضوابط اجتماعية أخلاقية تنتظم بها تلك الجماعات، وبدونها تنفطر أهم روابط المجتمعات، وتكاد تصبح الحياة مستحيلة إن لم تكن كذلك.

وفي هذه المقالة سنتناول مراعاة الجوانب الفقهية في تعليقات الفقهاء عند بحثهم في الأحكام الفقهية.

ما هو المقصود بالقيم؟

تعددت تعريفات المهتمين بموضوع القيم، ومن أحسنها أنها: «مجموعة من المعايير والأحكام النابعة من تصورات أساسية عن الكون والحياة والإنسان والإله، كما صورها الإسلام».

وتتكون هذه المعايير «لدى الفرد والمجتمع من خلال التفاعل مع المواقف والخبرات الحياتية المختلفة، بحيث تمكنه من اختيار أهداف وتوجهات لحياته تتفق مع إمكانياته، وتتجسد من خلال الاهتمامات أو السلوك العملي بطريقة مباشرة وغير مباشرة»^(٢).

(١) القيم الإسلامية والتربية: دراسة في طبيعة القيم ومصادرها ودور التربية الإسلامية في تكوينها، لعلي خليل مصطفى، ص (٣٤).

(٢) مجموع الفتاوى، لابن تيمية (٥٦٨-٥١٧/٢٠هـ).

المبادئ القيمية التربوية لتعليل القضايا الشرعية، وهو منهج فقهي متبع يعكس كيفية إدماج القيم الأخلاقية في عملية الاجتهاد الفقهي واستنباط الأحكام الشرعية بما يتناسب مع مبادئ الأخلاق الإسلامية، وبصورة تضمن تحقيق توازن بين النصوص الشرعية الثابتة والمبادئ الأخلاقية المتغيرة بما تمليه البيئة والظروف، عملاً بالتكامل الواقع بين الصناعتين.

المثال الأول / تغطية الرأس حال قضاء الحاجة:

إن الفقهاء لما تحملوه من أمانة البيان لم يغفلوا أبسط المسميات بالبيان والشرح والتفصيل، وكان من جملة ما ذكروه من القضايا وناقشوه من الفروع: آداب قضاء الحاجة.

قال الشيخ خليل في المختصر عند الحديث عن آداب قضاء الحاجة: «ندب لقاضي الحاجة جلوس... وتغطية رأسه»^(٢).

وقال ابن العربي: «ويستر رأسه»^(٤).

فيندب للمرء تغطية رأسه حال قضاء الحاجة والاختلاء، ويجتهد ألا يتكشف ولا يدخل الخلاء مكشوف الرأس ما أمكنه ذلك، وإن استدعى الأمر أن يضع كفه على رأسه.

قال الخرشي: «فالمراد ألا يكون مكشوف الرأس كما يفهم من كلام الأبّي وغيره، فيكره أن يذهب للخلاء حاسراً»^(٥).

كما نصوا على علة تغطية الرأس وحكمتها، فقيل: إن علة ذلك الحياء الذي يعتبر ملاك محاسن الآداب، وما يذكر من العلل الأخرى فهي خلاف المنصوص، إذ الوارد في قصة سيدنا أبي بكر رضي الله عنه قوله: «أيها الناس استحيوا من الله إذا خلوتم، إني لأذهب إلى حاجتي في الخلاء متقنعا بردائي حياء من ربي»^(٦).

وفي منح الجليل: «وندب تغطية رأسه: حال قضاء الحاجة والاستنجاء حياء من الله تعالى وملائكته»^(٧).

وهو عند الإطلاق يقصد به الكشف عن علل الأحكام وبيانها وطرق إثباتها ومسالكتها، وبيان ما من أجله وجد حكم من الأحكام الشرعية، دون قصد إنشاء العلل وصناعتها، إذ المعلل إنما هو الله تعالى، لذلك فإنّ التعليل وشغل المعلل لا يتجاوز إدراك العلل وإلحاق ما لم ينص عليه بالمنصوص، دون إنشاء أو صناعة.

ولم يكن التعليل عند من تقدم من الفقهاء المجتهدين مجرد فكرة يرسلونها أو يؤصلونها، ثم ينصرفون عنها، وإنما كان عملية وممارسة دائمة ومنهجاً معتمداً، ينتجون فقهم على أساسها، ويوجهون الأحكام الشرعية وفق مقتضياتها، يبذلون الوسع في الكشف عما حملته النصوص من علل تنسم بالملاءمة والظهور والانضباط، بحيث يصلح التعليل بها.

ويقول السرخسي: «التعليل هو تعدية حكم الأصل إلى الفروع»^(١)، وقال الدكتور محمد شلبي: «التعليل: تبين علة الشيء»^(٢)، فمعناه استخراج العلة وتعدية حكمها، لكن ليس لمجرد الغوص والتعمق في فهم الأسرار الشرعية وفلسفتها التشريعية، ولا لأجل الكسب المعرفي والمتعة العلمية والترف الفكري، بل هو جزء لا يتجزأ من فقه الدين والعمل به، وهو بذلك عمل علمي لا انفكاك عنه للعلماء والفقهاء المجتهدين.

لم يكن التعليل عند من تقدم من الفقهاء المجتهدين مجرد فكرة، وإنما كان عملية وممارسة دائمة ومنهجاً معتمداً، ينتجون فقهم على أساسها، ويوجهون الأحكام الشرعية وفق مقتضياتها، يبذلون الوسع في الكشف عما حملته النصوص من علل تنسم بالملاءمة والظهور والانضباط، بحيث يصلح التعليل بها

تطبيقات مراعاة القيم في التعليقات الفقهية:

كان من ضمن ما اختاره الفقهاء باباً لتبرير الأحكام: التعليل بالقيم إيجاباً وعدمًا، واستخدام

(١) أصول السرخسي (١٥٩/٢).

(٢) تعليل الأحكام، للدكتور محمد شلبي، ص (١٢).

(٣) مختصر خليل، ص (٢٠).

(٤) عارضة الأحوذ (٢٨/١).

(٥) شرح الخرشي على مختصر خليل (١٤٢/١).

(٦) المرجع السابق نفسه.

(٧) شرح منح الجليل على مختصر العلامة خليل، للشيخ محمد عlish (٩٨/١).

يقول الإمام النووي رحمه الله: «قال أصحابنا: وتُكره التعزية بعد ثلاثة أيام؛ لأن التعزية لتسكين قلب المصاب، والغالب سكون قلبه بعد الثلاثة، فلا يُجدد له الحزن، هكذا قاله الجماهير من أصحابنا»^(٥).

فما دامت غايتها التصبر وسكون القلب وليس بعثه على الحزن وتجدد الأسى؛ فإن الأليق به الثلاث دون غيرها، وهو نظر تربوي وبُعد قيمي أخلاقي. وقد أثر عن أبي محمّد قوله: «كان الرقاشي وأبو العتاهية متصلين بعلي بن يقطين، فتوفي بعض أهل علي، فوافاه المعزّون وتأخر الرقاشي أياماً، ثم أتاه معزياً فقال علي: التعزية بعد ثلاثة تجدد للمصيبة، والتهنئة بعد ثلاث استخفاف بالمودة»^(٦).

وهي والحالة تلك كقول القائل:

ومنتصح يكرر ذكر نشوى

على عمد ليبعث لي اكتئابا

وقال الشيرازي: «وتستحب التعزية قبل الدفن وبعده إلى ثلاثة أيام»^(٧)، ومثله ذكره أبو حامد في الوسيط^(٨).

ولعل الأصل في ذلك -علاوة على ما سبق من اعتبار البعد القيمي الأخلاقي وعدم بعث الحزن وتجدد الأسى- الحمل على أمد الحداد الوارد في الحديث: (لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تحدّ على ميت فوق ثلاث، إلا على زوج فإنها تحدّ عليه أربعة أشهر وعشراً)^(٩).

فلا يبعد أن تكون التعزية بالميت ثلاثاً دون غيرها تشبيهاً بالإحداد وقياساً عليه، ومهما يكن فإن البُعد التربوي والنظر القيمي الأخلاقي حاضر وموجود في هذه الممارسة الفقهية والاستنباط الحكمي في الفرع الفقهي المذكور.

وقال المناوي في بيان سبب تغطية الرأس حال قضاء الحاجة: «وغطى رأسه حياء من ربه تعالى»^(١٠).

ومثله في مراعاة القيم: كراهة التجرد عن الثياب في الخلوة لغير حاجة، لتحقيق قيمة الحياء^(١١).

فلا معنى لندب الستر للرأس والحث عليه والترغيب فيه في هذا المحل إلا أن يكون المقصود به ما ذكر من التماس الحياء وطلب كماله، وهو أمر ليس بالواجب، فقاضي الحاجة الأصل فيه أنه بمكان يستتره عن الناس وتحول أسواره بينه وبينهم، والتغطية للرأس لا تحقق حجاً للعورات عن الناس، ولكن الأمر متعلق بمبدأ قيمي وتعليل تربوي.

المثال الثاني / تحديد أمد التعزية بثلاث:

ترغيب المصاب في التصبر وحثه على الجلد سنة لمن نزل بهم القضاء، إذ كان من سنته ﷺ عند حلول المصيبة ترغيب المصاب في الصبر وحثه عليه ومواساته فيما حلّ به مما يحل بالعباد فيغيب الأجساد.

فقد روي عن الإمام مالك عن عبد الرحمن بن القاسم عن أبيه أن النبي ﷺ «كان يعزي المسلمين في مصائبهم»^(١٢).

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: (مرّ النبي ﷺ بامرأة تبكي عند قبر، فقال: اتقي الله واصبري، قالت: إليك عني، فإنك لم تصب بمصيبتي، ولم تعرفه، ف قيل لها: إنه النبي ﷺ، فأنت باب النبي ﷺ فلم تجد عنده بوابين، فقالت: لم أعرفك، فقال: إنما الصبر عند الصدمة الأولى)^(١٣).

ومن اهتمام الفقهاء بدفع الحزن وإجلاء الأسى تحدثوا عن حكمه وحكمته وصفته ومكانه وزمانه استشعاراً لأهميته في ترميم الصدع وجبر الخواطر.

وكان من جملة القضايا المؤثرة في التعزية المبنية على التوجيه القيمي للأحكام: الحكم بكراهة التعزية بعد ثلاثة أيام، واستحبابها داخل الثلاث.

(١) فيض القدير شرح الجامع الصغير، للمناوي (١٢٨/٥).

(٢) لوايع الدرر في هتلك أستاذ المختصر، لمحمد بن سالم المجلسي (١٦/٢).

(٣) أخرجه عبد الرزاق في المصنف (٦٠٧١).

(٤) أخرجه البخاري (١٢٨٣) ومسلم (٩٢٦) واللفظ للبخاري.

(٥) الأذكار، للنووي، ص (١٤٩).

(٦) ذيل تاريخ بغداد، لابن النجار (٢٠٣/١٩).

(٧) التنبيه في الفقه الشافعي، للشيرازي، ص (٥٣).

(٨) الوسيط في المذهب، للإمام الغزالي (٣٩٢/٢).

(٩) أخرجه البخاري (١٢٨٠) ومسلم (١٤٩٠).

المثال الثالث / صفة التذكية:

بالرغم من أن حياة الحيوان لا تنقطع إلا بإيلاسه، شرع الإسلام لنا الحد المقدر دون غيره بحيث لا يجوز تعذيبه بذكاته بغير محدّد، ولا بالمبالغة في الذبح حتى النخاع، وقد بوب الإمام أبو داود في السنن: باب في الرفق بالذبيحة.

ولأجله اشترط الفقهاء معرفة الذابح بكيفية الذبح، حتى لا يؤلم البهيمة، واختاروا كراهة الذبح بما يكون سبباً لإبطاء الإمامة، ففيه زيادة الألم للحيوان وهو منهي عنه، وحُرّم الوقذ^(١) في الإسلام لمنع التعذيب.

فجاء الأمر بالرفق والإحسان فقال ﷺ: (إذا قَتَلْتُمْ فَأَحْسِنُوا الْقِتْلَةَ، وَإِذَا ذَبَحْتُمْ فَأَحْسِنُوا الذَّبْحَ، وَلِيُحَدِّثْ أَحَدُكُمْ شَفْرَتَهُ، فَلْيُرِحْ ذَبِيحَتَهُ)^(٢).

وهو عام في معنى الإحسان، فكتب علينا الإحسان في كل شيء: في ذكاة الحيوان وذبحه لتحصل راحته وخلاصه من الألم، وفي القصاص، وغيرهما من المحال، كما أنه عام في كل مذكى ومقتول حتى فيما أذن الشرع بقتله لضرره كالحيات والعقارب وباقي الفواسق، فتقتل بأول دفعة ولا تعذب بحال، قال ابن رشد: «فما جاز قتله من الدواب لإذابتها لم يجز قتله إلا بوجه القتل الذي لا مُثْلَةَ فيه ولا عذاب»^(٣).

يقول العلامة أحمد المراغي: «ومن هذا تعلم أنه طلب الإحسان إلى الحيوان والرفق به حين ذبحه حتى لا يتعذب، كما حرم أكل الموقوذة وهي التي تضرب بغير محدّد حتى تنحل قواها وتموت»^(٤).

فالذبح بما يسرع الإمامة والأخذ بالرفق أسهل على الحيوان وأقرب إلى راحته، وهي أمور مرعية قصد إليها الشارع من خلال الأمر بالإحسان.

وقال القرطبي: «وهو من باب الرفق بالبهيمة بالإجهاد عليها، وترك التعذيب، فلو ذبح بسكين كالأله، أو بشيء له حد وإن لم يكن مجهزاً بل معذباً فقد أساء، ولكنه إن أصاب سنة الذبح لم تحرم الذبيحة، وبئس ما صنع»^(٥).

فانظر إلى البعد القيمي التربوي الذي وظفه القرطبي في هذا الفرع، ورّوم الخروج من المسار النقلي إلى التعليل الأخلاقي، حيث تجاوز به اجتهاده حدود النظر إلى صحة الذبح واعتبار ما يجزئ وما لا يجزئ إلى الحقل الأخلاقي والحكم بالإساءة للذبيحة والقضاء بسوء فعل الذابح، فما يحيي الذبيحة أن تحد الشفرة ولا يبقئها عدمه؛ إذ هي مذبوحة في كل الأحوال، لكن إن كان ولا بد فليكن ذلك بقلب رحيم لا فعل أليم.

المثال الرابع / إنظار المعسر:

الأصل فيه قوله تعالى: ﴿وَإِنْ كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ وَأَنْ تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٨٠].

فالمرء إما موسر أو معسر، وهما صفتان بهما تقاس الخلّة وتعرف الصداقة وصدق الأخوة، وكمن خليل أعلن مودته وأظهر خلته وأبدى محبته زمن اليسار، لكنه سرعان ما انكشف بالإعسار، فمدعي الأخوة يكشفه العسر، ويعري صداقته عدم اليسر، وما أصدق قول القائل:

دعوى الإخاء على الرخاء كثيرة

ولدى الشدائد تُعرف الإخوان

ومعنى الإعسار: ضيق الحال من جهة عدم المال، ومنه جيش العسرة وغزوة العسرة، قيل: سميت بذلك لأنها كانت في حال عسر وضيق من أحوال المسلمين، كما كانت في الصيف وشدة الحر فإنها عسرت عليهم^(٦).

قال الرازي: «الإعسار هو أن لا يجد في ملكه ما يؤديه بعينه، ولا يكون له ما لو باعه لأمكنه أداء الدين من ثمنه»^(٧).

والنَّظَرَةُ: بمعنى التأخير والانتظار والإمهال، ونَظَرَهُ وانتظره وتنظره تأني عليه وأمهله، ومنه قوله سبحانه: ﴿قَالَ أَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [الأعراف: ١٤].

(١) الوَقْذُ: شدة الضرب ... وشاة موقوذة: قتلت بالخشب. ينظر: لسان العرب (٥١٩/٣).

(٢) أخرجه مسلم (١٩٥٥).

(٣) البيان والتحصيل، لابن رشد الجد (٢٠٧/١٨).

(٤) تفسير المراغي (١٨٠/٨).

(٥) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، للقرطبي (٣٦٢/٥).

(٦) ينظر: الشافي في شرح مسند الشافعي، لابن الأثير (٣٤٢/٥).

(٧) تفسير الرازي (٨٧/٧).



اتفقوا على التعليل العام الذي يقصد به أن لكل حكم علة وسبباً، فإنهم لم يتفقوا على التعليل الخاص للأحكام الذي يوظف في الاجتهاد والقياس، فهذا محل الخلاف وتباين الآراء وتضارب الأقوال، هل الأصل فيها التعليل أو التعبد؟

ولأن المقوم التربوي على مر الأزمان يشغل حيزاً مهماً ومكانة عظمى من اهتمام الإنسان ويستحوذ على تفكيره، حيث لا تستقيم حياته إلا بها؛ جعلت الشريعة من الأخلاق قاعدة عامة يتحاكم إليها ويقوم بها سلوك المتدين، وجُعِلت غاية بعثته وخلاصة رسالته وزبدة ملته ﷺ.

وهو ما يفسر مدى اهتمام الفقهاء بالمبرر الأخلاقي وتضمينه في كتبهم، وما يفهم من تركيزهم على جانب الحلال والحرام إنما هو مقدمة وبدءة اهتمامهم لا نهايتها.

المقوم التربوي على مر الأزمان يشغل حيزاً مهماً ومكانة عظمى من اهتمام الإنسان ويستحوذ على تفكيره، حيث لا تستقيم حياته إلا بها؛ لذا جعلت الشريعة من الأخلاق قاعدة عامة يتحاكم إليها ويقوم بها سلوك المتدين، وجُعِلت غاية بعثته وخلاصة رسالته وزبدة ملته ﷺ.

«والميسرة: مَفْعَلَةٌ من اليسر الذي هو ضد الإعسار، يقال: أيسر الرجل فهو موسر إذا اغتنى وكثر ماله وحسنت حاله»^(١).

ومعنى الآية: لو وجد مدين وقد أعسر حاله وعُدم ماله فلم يجد ما يفرغ به الذمة فأخروه حتى يوسر.

و«الطلب يحتمل الوجوب، وقد قال به بعض الفقهاء، ويحتمل النذب، وهو قول مالك والجمهور، فمن لم يشأ لم ينظره ولو ببيع جميع ماله، لأن هذا حق يمكن استيفاءه، والإنظار معروف والمعروف لا يجب، غير أن المتأخرين بقرطبة كانوا لا يقضون عليه بتعجيل الدفع، ويؤجلونه بالاجتهاد لئلا يدخل عليه مضره بتعجيل بيع ما به الخلاص»^(٢).

وهو اجتهاد قائم على المقوم الأخلاقي والإحسان والرفق، لأن الفقه يقتضي استخلاص الدين واستيفاءه في جميع الأحوال، أو قيام عوض مقامه كالحبس والاستعمال، لكن واعتباراً للصناعة الأخلاقية جاء النذب إلى الإنظار -أو التصديق عليه وهو خير- وإبداء المعروف، وهو ملحظ قيمية جاءت الشريعة مرغبة فيه.

خاتمة:

كانت قضية تعليل الأحكام مما اختلف فيه الفقهاء وتباينت فيه أقوال العلماء، وإنهم وإن

(١) التفسير الوسيط، لسيد طنطاوي (١/٦٤٠).

(٢) التحرير والتنوير، لابن عاشور (٣/٩٦).

دور الأسرة في تربية الأطفال، ونموهم الاجتماعي والعاطفي

د. مصطفى بوهيوه^(*)

الأسرة هي اللبنة الأولى التي يتكوّن فيها وعي الطفل وتتشكّل شخصيته، فهي التي تُغرس القيم، وتحقّق الأمان، وتبني الذكاء العاطفي والاجتماعي. والعلاقة الصحية بين الوالدين، والحوار الصادق مع الطفل، والتوازن بين الحزم واللين؛ كلها عوامل تؤسّس لطفل سويّ قادر على التفاعل مع محيطه بثقة ووعي، كما أنّ الإهمال أو القسوة أو التدليل الزائد تهدم هذه الأسس وتربك نموه النفسي والاجتماعي.

علاقته الإيجابية مع الآخرين كبارًا أو أقرانًا من خلال فهم المشاعر وتنظيمها بشكل مناسب مع تقدمه بالعمر.

ولمعالجة هذا الموضوع سأقسمه إلى محورين:

المحور الأول / دور الأسرة المحوري في تربية الأطفال:

تقوم الأسرة بأدوار متعددة ومتداخلة في التربية، أهمها:

تعتبر الأسرة اللبنة الأولى في بناء شخصية الطفل، وهي المحضن الرئيس الذي يُشكّل هويته ويؤثر بشكل جذري على مسار تطوره الاجتماعي والعاطفي، وتُعد تربية الأطفال داخل الأسرة عملية ديناميكية ومعقدة، تهدف إلى إعداد أفراد قادرين على الانخراط بفعالية في المجتمع ومواجهة تحديات الحياة بتوازن نفسي.

وأقصد بالتطور الاجتماعي والعاطفي عند الأطفال: تلك العملية التي بموجبها يطور الطفل

(*) حاصل على الدكتوراه في الفقه والأصول - المغرب، المغرب، وكاتب في مجال التطوع والعمل المجتمعي.

١. التربية الإيمانية:

يؤكد الرسول ﷺ على أهمية الأسرة في تنشئة الطفل تنشئة إيمانية، في قوله: (ما من مولود إلا يُولد على الفطرة، فأبواه يهودانه، أو ينصرانه، أو يمجسانه، كما تُنتج البهيمة بهيمة جَمعاء، هل تحسون فيها من جدعاء؟) ثم يقول أبو هريرة رضي الله عنه: ﴿فَفِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ﴾ [الروم: ٣٠] ^(١). وهذا يتطلب منذ البدء أن يكون الأبوان مسلمين حتى يتمكنوا من تنشئة الطفل تنشئة إسلامية تقوم على أسس صحيحة، منها: تلقين كلمة التوحيد، وتعليم القرآن الكريم وربطه به، وتعليمه الصلاة وآدابها، فالأسرة مسؤولة عن ذلك كما بين الحديث الشريف: (كُلُّكُمْ رَاعٍ فَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ؛ فالأُمير الذي على الناس رَاعٍ وهو مسؤول عنهم، والرَّجل رَاعٍ على أهل بيته وهو مسؤول عنهم، والمرأة راعية على بيت بعلها وولده وهي مسؤولة عنهم... ألا فكلُّكم رَاعٍ وكلُّكم مسؤول عن رعيته) ^(٢).

فكل هذه النصوص الحديثية تؤكد على أهمية الأسرة بصفة عامة، وعلى أهمية الأسرة في تربية النشء على التربية الإيمانية وغرس العقيدة الصحيحة في نفوسهم منذ نعومة أظفارهم، وهذا بلا شك سيؤثر على بناء شخصية الطفل حتى يكون نافعا لنفسه وأسرته وأمته.

٢. تحقيق الاستقرار والطمأنينة النفسية:

من الأدوار المهمة المنوطة بالأسرة المسلمة: تحقيق الاستقرار والطمأنينة النفسية؛ فالأسرة المسلمة تهدف إلى تحقيق الطمأنينة لأولادها، يقول الحق تبارك وتعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾ [الروم: ٢١]، ولا محالة أن هذه الطمأنينة بين الزوجين واستقرارهما في البيت تنعكس على نفسية الطفل، وتتيح له الفرصة للنمو في جو مليء بالسعادة والمحبة وبذلك تنمو شخصيته بمقومات أساسية تساعد على النجاح في حياته في المستقبل.

٣. غرس القيم الأخلاقية:

تعد الأسرة النواة الأولى المسؤولة عن غرس القيم الحميدة في نفوس أطفالها؛ فقد روي عن النبي ﷺ أنه قال: (ما نَحَلَ والدٌ ولداً مِنْ نَحْلٍ أَفْضَلَ مِنْ أَدَبٍ حَسَنٍ) ^(٣)، فهذا الحديث يبين أن الطفل يكتسب أخلاقه وآدابه من أسرته التي يلزمها أن تنشئه عليها منذ الصغر قبل الكبر.

قال الماوردي رحمه الله: «فأما التأديب اللازم للأب، فهو أن يأخذ ولده بمبادئ الآداب ليأنس بها، فينشأ عليها فيسهل عليه قبولها عند الكبر، لاستئناسه بمبادئها في الصغر؛ لأن نشوء الصغير على الشيء تجعله متطبعا به، ومن أغفل في الصغر كان تأديبه في الكبر عسيرا...»

وقال بعض الشعراء:

إِنَّ الغُصُونَ إِذَا قَوَّمَتَهَا اعْتَدَلَتْ
وَلَا يَلِينُ إِذَا قَوَّمَتَهُ الخَشْبُ

قد ينفع الأدب الأحداث في صغر

وليس ينفع عند الشيبة الأدب ^(٤)

٤. إشباع الاحتياجات الأساسية:

من أدوار الأسرة كذلك إلى جانب التربية الإيمانية وغرس القيم الحميدة في نفوس الأطفال: تلبية الحاجات البيولوجية كالغذاء، والمأوى، والرعاية الصحية والنفسية.

٥. التنشئة الاجتماعية:

من أدوار الأسرة كذلك: تعليم الطفل مهارات التواصل، وآداب السلوك، وقواعد التعايش داخل الأسرة والمجتمع.



الطمأنينة بين الزوجين واستقرارهما في البيت تنعكس على نفسية الطفل، وتتيح له الفرصة للنمو في جو مليء بالسعادة والمحبة وبذلك تنمو شخصيته بمقومات أساسية تساعد على النجاح في حياته في المستقبل

(١) متفق عليه: أخرجه البخاري (٤٧٧٥) ومسلم (٢٦٥٨).

(٢) متفق عليه: أخرجه البخاري (٢٥٥٤) ومسلم (١٨٢٩).

(٣) أخرجه الترمذي (١٩٥٢).

(٤) أدب الدنيا والدين، للماوردي، ص (٢٤٣).

٦. الدعم العاطفي:

بتقديم الحب غير المشروط، والتشجيع، والاستماع الفعال، واحترام مشاعر الطفل.

المحور الثاني / دور الأسرة في تطوير المهارات الاجتماعية والعاطفية لدى الأطفال:

أولاً- أهمية التطور الاجتماعي والعاطفي لدى الأطفال:

لماذا يعد التطور الاجتماعي والعاطفي مهماً لدى الأطفال؟ جواباً على السؤال يمكن القول: إن الاهتمام ببناء المهارات الاجتماعية والعاطفية لدى الأطفال في السنوات الأولى المبكرة هي الأساس لكل المراحل التي تأتي لاحقاً، وعندما يدرك الوالدان أهمية هذه المرحلة المبكرة ويقومان بالدعم اللازم للأطفال؛ قصد تطوير الكفايات الاجتماعية والعاطفية لديهم، فإن الأطفال يصبحون قادرين على:

- بناء ثقتهم بأنفسهم.
- تحسين الكفاءة في التحصيل الدراسي.
- القدرة على الحد من الانفعالات غير المنضبطة.
- التحكم في المشاعر وإدارتها.
- فهم مشاعر الآخرين وحسن الظن بهم بغض النظر عن لونهم وعرقهم.
- الكفاءة في استخدام اللغة للتواصل.
- القدرة على التواصل مع الآخرين بشكل فعال.

ولا شك أن عدم تطوير الكفايات الاجتماعية والعاطفية عند الطفل يؤدي إلى الشعور السلبي؛ كالخوف والقلق والاكتئاب والعدوانية، وهذا بدوره يؤدي إلى شخصية ذات عاطفة سلبية فلا تساعد صاحبها على الخوض في الحياة والتعامل معها على نحو إيجابي، أما ارتفاع الذكاء العاطفي لدى الفرد فإنه يجلب له الشعور الإيجابي، مثل التفاؤل وارتفاع الروح المعنوية والثقة بالنفس، وكل هذا يجعل من ذلك الفرد محبوباً، ومثابراً على فهم مشاعره وتوظيفها بشكل إيجابي، كما نجده متألقاً وقادراً على التواصل، مصراً على النجاح في جميع مجالات الحياة^(١).

ولذلك فالأسرة في حاجة إلى تدريب الأطفال وتعليمهم المهارات الاجتماعية والعاطفية، لإعداد جيل يتمتع بقوة المشاعر، ومؤثر ليس في حياته فقط، بل في حياة محيطه، «فالمشاعر هي مصدر متجدد للطاقة في نفس الإنسان، وهي التي تعطيه الدافع للتعامل مع فن الحياة»^(٢).



عدم تطوير الكفايات الاجتماعية والعاطفية عند الطفل يؤدي إلى الشعور السلبي؛ كالخوف والقلق والاكتئاب والعدوانية، وهذا بدوره يؤدي إلى شخصية ذات عاطفة سلبية فلا تساعد صاحبها على الخوض في الحياة والتعامل معها على نحو إيجابي

ثانياً- بعض العوامل الأسرية المؤثرة في تربية

الأطفال اجتماعياً وعاطفياً:

أ. العلاقة بين الوالدين:

إن العلاقة بين الوالدين -القائمة على المحبة والمودة والاحترام- لها جانب كبير من الأهمية في توفير البيئة المناسبة في المعاملة مع الأطفال، ونموهم نمواً سليماً في جوانب الشخصية، ولا سيما الجانب الاجتماعي والعاطفي، على نقيض العلاقة القائمة على الخلافات والمشاحنات التي تؤدي في الغالب إلى حدوث الاضطرابات النفسية عند الأطفال، والتي تنعكس بدورها على نموهم الاجتماعي والعاطفي وتكيفهم مع البيئة المحيطة، سواء داخل الأسرة أو خارجها^(٣).

ب. العلاقة بين الوالدين والأطفال:

إن للعلاقة المنسجمة التي تسود بين الوالدين والطفل -ولا سيما في المراحل الأولى من عمره- الأثر الكبير في بناء ملامح شخصيته السلوكية والنفسية. وعليه «فإن معاملة الآباء والأمهات للطفل على قدر من الاحترام والتقدير والتشجيع من شأنها أن تؤدي بالطفل إلى الإحساس بالسعادة والارتياح، فضلاً

(١) النمو الاجتماعي العاطفي خلال مرحلة الطفولة المبكرة، سلام الكتاني ويلي بن جلون، المجلة الأردنية الدولية أريام، ٢٠٢١م، ص (٥١٠).

(٢) المرجع السابق نفسه.

(٣) دور الوالدين في تكوين الشخصية الاجتماعية عند الأبناء، دراسة ميدانية في مدينة دمشق، بسمة حلوة، ص (٨٥).

ثالثاً- بعض الجوانب التطبيقية للمهارات الاجتماعية والعاطفية من خلال السيرة النبوية:

تعدُّ السيرة النبوية منهجاً تربوياً متكاملًا، حيث تقدم سيرة النبي ﷺ نماذج حية تُعلِّم الأطفال كيفية التعامل مع الآخرين، وإدارة المشاعر، وبناء الشخصية المتوازنة. وفيما يلي بعض النماذج التربوية من السيرة النبوية:

أ. التعاطف والرحمة: نجد هذا التصرف في حياة النبي ﷺ في مواقفه مع الأطفال الصغار، مثل حمله للحسن والحسين وتقبيلهما واللعب معهما، فقد روي عن عبد الله أنه قال: كان النبي ﷺ يصلي، فإذا سجد وثب الحسن والحسين على ظهره، فإذا أرادوا أن يمنعوها أشار إليهم أن دعوهما، فلما صلى وضعهما في حجره ثم قال: (مَنْ أَحْبَبَنِي فَلْيُحَبِّ هَذَيْنِ) (٤).

ب. الصبر وضبط النفس: يعد النبي ﷺ نموذجاً في تحمل الأذى وضبط النفس؛ فقد تحمل أذى أهل الطائف عندما رفضوا دعوته ولم يكتفوا بذلك فقط بل رشقوه بالحجارة، فدعا لهم بالهداية بدلاً من الدعاء عليهم، فعلى الأسرة والمربين أن يعلموا الطفل أن الرد على الإساءة بالحسن يُكسب الاحترام ويحفظ المشاعر وليس العكس.

ج. التعاون والعمل الجماعي: كان النبي ﷺ يشارك أصحابه، من ذلك مشاركته في بناء المسجد النبوي، وحفر الخندق، وهذا فيه دلالة على أن النبي ﷺ كان يعطي الأهمية الكبيرة للعمل الجماعي ويقدر جهود الآخرين، فعلى الأسرة أن تشجع الطفل على المشاركة في أعمال المنزل، والمربون يشجعون كذلك الأطفال على المشاركة في مشاريع المدرسة مع زملائهم.

د. التواصل واحترام الآخرين: كان النبي ﷺ يجالس الفقراء والخدم، ويلبي دعوة أصحابه، ويحترم مشاعر الأطفال ويقدرها، فكان لا يجرحهم بكلامه أو يسبب لهم أي أذى نفسي، فهذا أنس رضي الله عنه خادم النبي ﷺ يقول: «خدمته عشر سنين بالمدينة وأنا غلام، ليس كل أمري كما يشتهي صاحبي أن يكون، ما قال لي فيها: أف،

عن نمو قدراته الذاتية وامتلاك مهارة التعامل مع الآخرين» (١).

والعكس من ذلك، فإن وجود خلافات الوالدين مع الطفل وعدم الاهتمام به وتقدير مشاعره، يتسبب له في تكوين الذات السلبية التي تتجلى في بعض الانحرافات السلوكية.

ولذلك فبناء العلاقة بين الوالدين والطفل على أساس المحبة والمودة والقبول، يساعد على نمو الطفل نمواً متوازناً من جميع الجوانب؛ الأمر الذي يساهم في تطوير مهاراته الاجتماعية والعاطفية والشخصية، داخل الأسرة وخارجها.

ج. التماسك الأسري:

تتكون الأسرة في الغالب من زوجين وأولاد، يعيشون في بيت واحد وفق نظام معين للحفاظ على التماسك بينهم، والقيام بأدوار تربية الأبناء اجتماعياً وعاطفياً.

فالأسرة بهذا المعنى تشكل وحدة إنتاجية بيولوجية تقوم على زواج شخصين، ويترتب على هذا الزواج نتاج من الأطفال، كما أن الأسرة هي الوحدة الاجتماعية الأولى التي يحتك بها الطفل احتكاكاً مستمراً ومتواصلًا، كما أنها المكان الأول الذي تنمو فيه أنماط التنشئة الاجتماعية (٢). وعليه فإن التماسك الأسري وفق نظام معين يساهم في تطوير النمو الاجتماعي والعاطفي لدى الأطفال وقابليتهم للتواصل مع الآخرين، وهذا يقتضي من الأسرة بذل الجهد في خلق جو من الحوار والتفاهم والتعاون بين أعضائها.

وجدير بالذكر أن الكثير من الباحثين يعتقدون أن التفكك الأسري يهدد كيان الأسرة ويبطل دورها الوظيفي، و«يعكس حياة تعسة للأطفال وسيئة، تؤدي إلى حرمانهم من الرعاية الأسرية الطبيعية اللازمة لنموهم السليم» (٣).

والتفكك الأسري له أسباب كثيرة في مقدمتها: الطلاق وانفصال الزوجين، والخلافات الزوجية المتكررة وعدم قدرة الزوجين على تجاوزها، وهذا الأمر وغيره له انعكاس سلبي على نفسية الأطفال.

(١) الأسلوب الأمثل لتنمية احترام الذات لدى الطفل، لبيكار كارل أي، ص (٣٨).

(٢) أبناؤنا وصحتهم النفسية، لمختار وفيق صفوت، ص (٤٧).

(٣) العلاقة الزوجية والصحة النفسية في الإسلام وعلم النفس، للدكتور مرسى كمال إبراهيم، ص (٥٦).

(٤) أخرجه النسائي في السنن الكبرى (٨١١٤).

بعض الجوانب التطبيقية للمهارات الاجتماعية والعاطفية من خلال السيرة النبوية



وما قال لي: لم فعلت هذا؟ أو: ألا فعلت هذا؟^(١)، فينبغي على الأسر والمربين أن يعودوا الطفل على شكر الخدم أو العاملين، ومساعدة المحتاجين.

هـ. التسامح والعفو: كان النبي ﷺ يعفو عن أخطاء أصحابه ويتجاوز عن زلاتهم، فكان لا يعنفهم أو يوبخهم على أفعالهم، بل كان يعاملهم برفق ولين، وكان هذا تعامله مع صغار السن أيضاً كما تقدّم في حديث خادمه أنس رضي الله عنه.

أسماء بن زيد رضي الله عنه عندما أخطأ في قتل رجل أثناء إحدى الغزوات أن النبي ﷺ قال له: (يا أسماء! أقتلته بعد أن قال: لا إله إلا الله؟)^(٢)، والمستفاد من كل هذا أن التسامح يُنهي العداوة ويبني المحبة؛ وعليه ينبغي على الأسر والمربين أن يربوا الطفل على مسامحة من أخطأ معه، وكتابة رسالة اعتذار إذا أخطأ هو.

و. المزاح واللفظ: لقد كان لصبيان أصحاب النبي ﷺ حظهم من حسن خلقه وجميل مزاحه ودعابته، فقد كان يخاطبهم ويحملهم ويضحكهم إلى غير ذلك من جميل هديه معهم، فعن أنس بن مالك قال: قال لي رسول الله ﷺ:

تعدُّ السيرة النبوية منهجاً تربوياً متكاملًا، حيث تقدم سيرة النبي ﷺ نماذج حية تُعلّم الأطفال كيفية التعامل مع الآخرين، وإدارة المشاعر، وبناء الشخصية المتوازنة

رابعًا- بعض الأخطاء التربوية التي تؤثر على تشكيل سلوك الطفل:

توجد العديد من الأخطاء التربوية التي تقع فيها بعض الأسر والمربين، والتي يمكن أن تؤثر سلبًا على تشكيل سلوك الطفل، ومن هذه الأخطاء نذكر ما يلي:

(١) أخرجه أحمد (١٣٣١٧).

(٢) أخرجه البخاري (٦٨٧٩).

(٣) أخرجه أبو داود (٥٠٠٢).

(٤) أخرجه البخاري (٦٢٠٣)، والنغير: تصغير (نَغْر)، وهو طائر يشبه العصفور.

(٥) فتح الباري (٥٨٤/١٠).

- « منح الطفل مساحة للتعبير عن مشاعره وآرائه، والإنصات لكل ما يقول، وعدم إهمال شيء منه مهما كان سخيفاً، ومحاولة فهم ما يقوله؛ لأن حرية التعبير تضمن تنمية الذكاء العاطفي.
- « تدريب الطفل على التفاعل والانخراط في المجتمع، من خلال تسجيله في الأنشطة كالرياضة والمسرح، والاشتراك في الدورات مما يساهم في بناء العلاقات والقدرة على إدارة الخلافات وحل المشاكل.
- « تشجيع الطفل على قراءة القصص التي فيها العبرة والحكمة.
- « تقديم الثناء للطفل عندما يقوم بشيء بشكل جيد.



لتنمية المهارات الاجتماعية والعاطفية عند الطفل ينبغي تدريبه على التعرف على شخصيته والتعامل معها بوعي وإدراك، وتدريبه على حسن التعامل مع الآخرين والتعاطف معهم، والتفاعل مع المجتمع من خلال الأنشطة المتنوعة، إضافة إلى منحه مساحة للتعبير عن مشاعره وآرائه والإنصات لما يقول، والثناء عليه عند قيامه بأمر حسن

الخاتمة:

نخلص في النهاية للقول: إنه لا يمكن التقليل من دور الأسرة في تربية الأطفال وتشكيل مسار تطوّرهم الاجتماعي والعاطفي؛ فهي الحاضنة التي توفر الحب والأمان، والمدرسة التي تغرس القيم والمهارات، والملاذ الذي يُعيد شحن الطاقة النفسية.

إن الاستثمار في دعم الأسر وتوعيتها بأساليب التربية الإيجابية القائمة على الحوار والاحترام ووضع الحدود الواضحة مع الحنان؛ هو استثمار في بناء جيل يتمتع بصحة نفسية جيدة، وقادر على تكوين علاقات سليمة، والمشاركة الفعّالة والإيجابية في بناء المجتمع.

إنّ تربية الأبناء مسؤولية جسيمة، لكن ثمارها -أفراداً أسياء ومتوازنين- هي أعظم هدية تقدمها الأسرة للمستقبل.

أ. التربية القاسية: ينبغي على الأسرة والمربين أن يتجنبوا العنف الجسدي أو اللفظي، مثل التهديد، والصراخ، والإهانة؛ لأن هذا السلوك يؤدي إلى شعور الطفل بعدم الأمان، وتدني تقديره لذاته، واحتمالية تبنيه سلوكيات عنيفة.

ب. التدليل الزائد: بعض الأسر اليوم يبالغون في التدليل الزائد للأولاد، مما يؤدي إلى اعتماد الطفل على الآخرين، وعدم تحمل المسؤولية، وصعوبة التأقلم مع الحياة الواقعية، كما يقلل من ثقته بنفسه وقدرته على حل المشكلات.

ج. المقارنة بالآخرين: مقارنة طفلك بطفل آخر يجعله يشعر بالنقص، ويفقد ثقته بنفسه، ويصبح أكثر عرضة للإحباط والقلق، وقد يؤدي به إلى محاولة تقليد الآخرين بشكل أعمى.

د. عدم الاستماع للطفل: من الأخطاء التي يقع فيها المربون: عدم الاستماع للطفل، وهذا يحرمه من فرصة التعبير عن مشاعره وأفكاره؛ مما يجعله يشعر بعدم الفهم وعدم التقدير، وقد يؤدي إلى انعزاله أو تبنيه لسلوكيات سلبية للتعبير عن ذاته.

هـ. تجاهل مشاعر الطفل: كذلك من الأخطاء التي تؤدي إلى عدم قدرة الطفل على التعامل مع مشاعره بشكل صحيح: تجاهل مشاعره. وقد يترتب على ذلك مشاكل نفسية مثل القلق والاكتئاب، أو اللجوء إلى سلوكيات غير سليمة للتعبير عن مشاعره.



من الأخطاء التربوية التي تؤثر على تشكيل سلوك الطفل: التربية القاسية، والتدليل الزائد، والمقارنة بالآخرين، وعدم الاستماع للطفل، وتجاهل مشاعره

خامساً- بعض التوجيهات والنصائح للوالدين لتنمية المهارات الاجتماعية والعاطفية عند الأطفال :

- « تدريب الطفل للتعرف على شخصيته والتعامل معها بوعي وإدراك، سواء أكان عصبياً أم حساساً أم سريع الغضب.
- « تدريب الطفل على الإحساس بالآخرين، وتطوير قدرته للتعاطف معهم، والتحلي بالمهارات اللازمة التي تمكنه من حل مشكلاتهم.



قراءة في كتاب: «زخرف القول: معالجة لأبرز المقولات المؤسّسة للانحراف الفكري المعاصر»

د. عبد المجيد بدوي (*)

يجدر بكل من يتصدى لشبهات المعاصرين أن يعتني بهذا الكتاب؛ فهو ليس مجرد ردّ على مقولات تؤسس للانحراف، بل هو تعليم للمنهج العلمي الواجب اتباعه في كشف زيفها، وبيان خطرهما ومآلات استعمالاتها، أما إذا كان القارئ ليس متخصصاً في التصدي للشبهات: فمن الجيد له أن يتذكر بعد هذه القراءة أنّ كتاباً مختصاً جردها ونقدها ونقضها؛ فيرجع إلى المقولة المطلوبة ويتحصل على المطلوب، فيكون هذا الكتاب كالعلاج المتوفر دائماً في صيدلية المنزل.

تجتمّع في مراكز بحثية، وبما أنّ الأفكار الفلسفية والحداثيّة صارت تتسرب لدائرة اهتمام الشباب عبر منصات التواصل الاجتماعي، وأنّ دائرة الجدل الفكري بدأت تتوسّع وتتمدّد مساحاته؛ فلن تخطئ العين عدداً كبيراً من المقولات التي باتت

نظرة شاملة:
كتاب زخرف القول متخصص في النظر في المقولات التي تؤسس للانحراف الفكري، يجمع منها أكثر من أربعين مقولة ثم يفندّها ويرد عليها، وبما أنّه لم يعد المجال الفكري شأناً خاصاً بنخبه

(*) دكتوراه في الفقه الإسلامي وأصوله.

وقد اجتهد المؤلفان في تتبّع هذه المقولات، وحصّرها، ودمج بعضها في بعض، والاستغناء ببعضها عن بعض. وزدت على ذلك بأن جعلتها في هذه القراءة ضمن ستة تبويبات، وغيّرت ترتيبها الأصلي لأضّم الشبيه إلى شبيهه، وألحق النظر بنظيره.

أولاً: مقولات في مصادر التشريع:

(١) و(٢) في القرآن كفاية، والقرآن مقدم على السنة:

القرآن والسنة كلاهما وحي من الله، وكثيراً ما جاءت السنة تبيين ما أجمله القرآن؛ كتفاصيل الصلاة والزكاة، فلا يكتفى بالآيات وحدها، بل نحتاج معها إلى الأحاديث الشارحة المبينة، وما أكثر ما أمر القرآن بطاعة النبي ﷺ، وهل طاعته إلا الاستجابة لحديثه؟

وحين نفحص مقولة تقديم القرآن على السنة نجد أنها تحتّم أمرين:

الأمر الأول: ردّ الحديث لعدم مجيء حكمه أو معناه في القرآن الكريم، وهو تفسير لمعنى المخالفة عند بعضهم، وهو معنى مردود باطل.

الأمر الثاني: ردّ الحديث لمعارضته ما جاء في القرآن، فهذا التعارض إن تحقق بصورة لا تقبل الجمع بين الآية والحديث فهو من الأمارات الدالة على عدم صحة الحديث.

أما قطعي الدلالة وقطعي الثبوت من الحديث فيستحيل تعارضه مع قطعي الدلالة من القرآن.

(٣) ليست السنة كلها تشريعاً:

الأصل في التصرف النبوي صدور عنه باعتبارات النبوة:

وما صدر عن النبي ﷺ باعتبارات أخرى غير النبوة كالإمامة والقضاء فهو مصدر للتشريع أيضاً، كما يجب التنبيه إلى أنه ليس كل أحاديث القضاء والإمامة قيلت بصفة النبي ﷺ إماماً أو قاضياً، فالتعميم غير صحيح، إذ الأصل أنها تبليغ عن الله.

(٤) كيف نقبل الحديث وقد تأخر التدوين؟

استقر الإجماع على مشروعية كتابة السنة من غير خلاف بين أهل العلم، وتوافر للسنة طريقان من الحفظ: حفظ الصدور، وحفظ السطور.

تتكرر مع تكرار هذه السجلات، وهذه المقولات هي ما اقترح المؤلفان تسميته هنا: بـ«المقولات المؤسّسة للانحراف الفكري المعاصر».

والخيط الناظم الذي ينتظم هذه المقولات جميعاً مع تفاوت ما بينها قريباً وبعيداً من الحق: عموم تأثيرها، مع سهولة عبارتها، وامتلاكها حجة ميسرة، في قالب ملبس مختصر، وهو ما ينتج في كثير من الأحيان آثاراً فكرية تصادم بعض قطعيات الشريعة.

والملاحظ في هذه المقولات أنها تتمدد في مجالات مختلفة، ويتنوّع تأثيرها السلبي ليشمل:

١. العبث بمصادر التلقي ومناهج الاستدلال.
 ٢. رفض أو إنكار بعض الأصول والأحكام الشرعية المحكمة.
 ٣. قبول مفاهيم معاصرة مصادمة لقطعيات الشريعة.
 ٤. التهوين من الالتزام بأحكام الشريعة، وهزّ الثقة بكمالها، أو إضعاف اليقين بها.
 ٥. والمشكلة الكبرى التي يخلّفها التأثير في هذه المجالات، إضافة إلى ما تحدّثه من انحراف مفاهيمي: أنها توقع المسلم في حبال التفريط في جنب الله.
- ولأن هذه المقولات تعتمد على نمط من الحجة الميسرة المباشرة، فإن لها تأثيراً كبيراً جداً في شرائح مجتمعية متنوعة.

وعملية الكشف عن أوجه المغالطة الموجودة ضمن عدد من المقولات الفاسدة يستدعي قدراً من دقة النظر، وتمكّن بعض الأدوات النقدية التي تمكّن من وضع اليد على مواضع الخلل منها، ومن تلك الأدوات: فك إجمال المقولة، وكسر سطوة شهرتها وانتشارها، وإزالة ما في بعضها من بهرجة لفظية، والوعي بالمقدمات الفاسدة التي تتضمنها، والتحرر من فخ المقولة، وملاحظة السياق الذي توضع فيه، وإدراك اللوازم والمآلات، والعناية بالأصول المركزية للأفكار، وتفكيك الفكرة وردّها إلى أصولها الأولى، وكشف المضمرات الفاسدة.

ويرد في ثنانيا الكتاب تطبيقات عملية لأثر مثل هذه الأدوات في الكشف عن فساد كثير من تلك المقولات الفاسدة.

(٨) هذا مخالف للعلم:

معارضة الوحي بالعلوم الطبيعية إنما تنشأ من سوء فهم للوحي، أو سوء فهم للعلم، والحل هو في ضبط كل طرف، وإدراك المنهجية الشرعية الصحيحة في العلاقة بينهما، وأنها متى طبقت على نحو سليم انزاحت جميع الإشكاليات المتعلقة بهذا الباب.

(٩) تقديم المصلحة على النص:

على المسلم أن يكون واعياً بخطورة تكرار مقولات عائمة تتضمن انحرافات فكرية تستغل قصور الوعي عند كثير من الناس بالتفصيلات الفقهية لتمرير مفاهيم فكرية منحرفة، وهي مفاهيم تدفع المسلم إلى معارضة الشرع ورفض أحكامه بدلاً من أن يسلم لها ويوقن بأن الخير كله في التزامها، ويوقن أن الشرع في الحقيقة طريق تحقيق المصلحة.

(٢١) لا أحد يمتلك الحقيقة المطلقة:

القائل بالنسبية لا يخلو حاله من أحد خيارين: الأول: أن يجعل باب النسبية مفتوحاً، الثاني: أن يجعل للنسبية ضوابط وحدوداً. وإقرار الشخص بوجود ضوابط وحدود للنسبية هو براءة من التصور السيئ للنسبية، وهو مهم جداً.

فاستبانة فساد هذه المقولة يستلزم من صاحبها الانحياز إلى موقف عقلائي يقر بوجود قطعيات وضرورات تمثل حقائق مطلقة، فيقع البحث والمجادلة للتعرف إليها.

(٢٤) النص مقدس والفهم غير مقدس:

والجواب أن هناك دائرة من النصوص مما يستطيع الناظر فيها الجزم بمراد قائلها، فهنا يتطابق النص وفهمه؛ إذ الفهم هو روح النص ومعناه، وما دما قد جزمنا بتحصيله والوقوف عليه، فلنا أن ندعي أن الفهم هنا مقدس، إذ هو لا يعدو أن يكون معنى النص المقدس الذي أريد لنا تحصيله وفهمه.

أما النصوص الظنية التي تحتمل أفهاماً متعددة، فهذه الأفهام تمثل فضاءً لمعنى النص، إذ الاختلاف لا يرفع حقيقة أن للنص معنى، وأن هذا المعنى مقدس، وأن أحد أطراف الخلاف في فهمه قد صادفه، شريطة أن يكون السعي في تحصيل هذا المعنى وفق منهج موضوعي ومقصد صحيح،

والحقيقة التي ينبغي إدراكها هنا أن الأحاديث المضمنة في كتب الأحاديث لم تظهر في حقبة الجمع والتأليف فجأة كما قد يتوهمه بعض الناس، بل وقعت لأصحابها متصلة الإسناد بمن فوقهم حتى تصل إلى الجناح النبوي.

فالطعن في حفظ السنة بدعوى عدم تدوينها مبكراً دعوى تكشف عن جهل بتاريخ الرواية وطبيعتها وما حظيت به من جوانب العناية المختلفة، فالتدوين وجد مبكراً في زمن النبوة، وقد ساريداً بيد مع التلقي الشفهي عبر بوابة الإسناد، وفق مساع عظيمة لضمان حفظ السنة، والتي بلغت الغاية في التثبت والتحوط.

(٥) ليس هناك دليل قطعي:

في الأدلة قطعي وظني، ونحن مطالبون بالعمل بهما؛ فالعبد ليس مطالباً بالعمل بما جزم بمراد الله تبارك وتعالى فيه فقط، وإنما هو مطالب بالعمل بما اعتقد أو غلب على ظنه أنه مراد له تبارك وتعالى، إن كان عالماً مجتهداً فينبظره في مصادر التلقي الشرعية، وإلا فباتباع أهل العلم.

(٦) المسألة فيها خلاف:

وقوع الخلاف في الشريعة أمر معتبر، وهو من السعة في الشريعة بأن لا يكون في مواردها الاجتهادية قول ملزم لا يسع الخروج عنه، وإنما يحذر المسلم من بعض المسالك الخاطئة في التعامل مع الخلاف لئلا يكون مقصراً فيما يجب عليه شرعاً، فلا يتخذ وقوع الخلاف في المسألة ذريعة لترك أوامر الله واتباع هوى النفس.

(٧) لا يقبله العقل:

بسبب الغفلة عن محدودية العقل في الإدراك يتورط بعض الناس فيستند إلى ما يتوهمه عقلاً لينفي حقائق شرعية غيبية، وبسبب الغفلة عن قصور العقل عن الإدراك التفصيلي لكل القضايا يقوم بالتنكر لبعض القضايا الشرعية التفصيلية المحكمة، وبسبب الغفلة عن التفاوت والاختلاف في تحقيق العقل يجعل بعض الناس ما تعود عليه أو شاع في مجتمعه أو زمانه هو العقل الذي لا يمكن أن تأتي الشريعة بخلافه!

فإن أحكامه - وإن تفاوتت رتبها - جميعها موضع تعظيم، ونحن نقرّ بأن مسائل الدين ليست كلها في رتبة واحدة، بل بينها تفاوت كبير، وليس من المنهج الشرعي والموضوعي أن يُزهد في بعض شعب الإيمان لمصلحة بعض، مع لزوم معرفة رتب المسائل الشرعية، والتعامل مع كل رتبة بالقدر اللائق بها، فلا تُعامل الصغائر معاملة الكبائر، لكن لا يقلل من شأن الحرص على تجنب الصغائر.

(١٢) الانشغال عما هو أهم:

توجّه هذه المقولة لمن يأمر أو ينهى عن بعض الأحكام، وأنّ ما يفعله انشغال عن الكليات بالجزئيات، ولا شك في أن الضروري أهم من الحاجي، وأن المصلحة العامة أولى من المصلحة الخاصة، وأن ما يمس عموم الناس أهم مما يمس بعضهم، وأن القطعيّات أولى من الخلافات، لكن هذه المقدمات كلها لا علاقة لها بالسياق الذي تأتي فيه هذه المقولة؛ فهي تأتي بدافع عدم الرغبة في الحكم الشرعي ابتداء. هذه المقولة فيها مغالطات كبيرة، منها: أن تقسيم هؤلاء للأحكام إلى أصول وفروع لا يستند عندهم إلى أساس معتبر، فبعضهم يرى أن هناك ما هو أهم من الدعوة للتوحيد! كما أنّ مَنْ يفرط بالجزئيات هو مَنْ سيضيع الكليات لا العكس، وأن ضياع كلية من الكليات لا يعالج بدعوة الناس لترك قضايا أخرى، بل يكون بدعوتهم لعلاج هذا التضييع بشكل مركّز.

(٤٠) الإيمان في القلب:

تأتي مشكلة هذه المقولة من طبيعة السياق الذي توضع فيه، حيث إن هذه المقولة حين تجري على ألسنة كثير من الناس لا تأتي في السياق الموضوعي الذي يتضمن بيان أهمية الباطن، أو ضرورة عدم الاكتفاء بالظاهر، وإنما تجيء في سياقات فاسدة، ومن هذه السياقات الفاسدة: التزهيد في الأعمال الظاهرة، والتهوين من المعاصي، والتقليل من أثر الطاعات في تحقيق المصالح ودفع المفاسد.

ليس من المنهج الشرعي والموضوعي أن يزهد في بعض شعب الإيمان لمصلحة بعض، مع لزوم معرفة رتب المسائل الشرعية، والتعامل مع كل رتبة بالقدر اللائق بها، فلا تُعامل الصغائر معاملة الكبائر، لكن لا يقلل من شأن الحرص على تجنب الصغائر

فالشخص هنا وإن لم يقطع بصواب تفسيره للمعنى، لكنه يعتقد وجود هذا المعنى، وهو يسعى باجتهاده لإصابته، ويعتقد أنه أو غيره قد صادفه، وأن الأمة لا تخلو من مدرك له.

(٢٥) الشريعة على فهم مَنْ؟

مقولة (على فهم مَنْ؟) ذات أثر سلبي في التهوين من مرجعية الشريعة في نفوس بعض الناس، وجوابها أن وجود اختلاف في شيء لا يلغي حجّيته؛ إذ الخلاف ليس واقعاً في كل الشريعة وإنما في بعض أحكامها، وهذا الخلاف محكوم بمنهج علمي في النظر في كيفية التعامل معه. ولو جهل المسلم كل هذا واكتفى بالتسليم بأصل حاكمية الشرع - ولو خفيت عليه التفصيلات - فهو متمسك بأصل لا يجوز أن يُنقض بسبب تشكيك في جزئيات لا يحسن المسلم الجواب عنها.

وقوع الخلاف في الشريعة أمر معتبر، وهو من السعة في الشريعة بأن لا يكون في موارد الاجتهادية قول ملزم لا يسع الخروج عنه، وإنما يحذر المسلم من بعض المسالك الخاطئة في التعامل مع الخلاف لئلا يكون مقصراً فيما يجب عليه شرعاً، فلا يتخذ وقوع الخلاف في المسألة ذريعة لترك أوامر الله واتباع هوى النفس

ثانياً: مقولات تقسم الدين إلى قسمين، فتهمل أحدهما:

(١٠) التمسك بروح الشريعة:

التمسك بمقاصد الشريعة يقتضي في الوقت نفسه التمسك بفروعها، ومن يدعو إلى التمسك بمقاصدها لترك بعض الفروع فهو في الحقيقة لم يتمسك بالمقاصد من الأساس، فما يدعو إليه ليس روح الشريعة ولا مقاصدها ولا كلياتها، بل هو شيء أجنبي عنها يتخذة تكأة لإسقاط بعض أحكام الشريعة بلا حق، وهو من جنس الهوى الذي يجب على المسلم الحذر منه عند التعامل مع الأحكام الشرعية لأنه يصد عن الحق.

(١١) التعلق بالقشور:

ما من شك في أن أمر الدين بتفاصيل أحكامه أعز وأشرف من أن يوصف شيء منها بمثل هذا الوصف؛

ثالثاً: مقولات فيها استدلال خاطئ على ترك بعض الدين:

هو المساواة بينهما، ولهذا نجد أنهما سيان في تكاليف الشريعة، وفي الجزاءات المتعلقة بها.

(١٣) الدنيا تغيّرت:

ما يدرجه أهل العلم من المعاني تحت قاعدة (تغير الأحكام لتغير الزمان والمكان) لا ينسجم إطلاقاً مع التوظيفات المعاصرة المتجاوزة لثوابت الشريعة ومحالّ الإجماع؛ فإن هذه القاعدة لا تعني إطلاقاً أن ثمة تغييراً حقيقياً طارئاً على الأحكام الشرعية ذاتها، فصارى ما يريد العلماء الإلماح إليه أن من طبيعة الشريعة السعة والشمول في إعطائها الأحكام المناسبة لظروف الواقع، مع ثباتها ورسوخها، وأنها تراعي في أحكامها عدم التفريق بين المتماثلات أو الجمع بين المختلفات، وهذا من عظمة هذه الشريعة.

(١٤) أكثر الناس يفعلونه:

الكثرة لا يصح أن تجعل ميزاناً يوزن به الحق والباطل، بل ميزان الحق هو الحجج والأدلة والبراهين، والمرء بحاجة إلى التخلص من أهوائه ليتمكن من الإقبال بصدق على الحق، وإنّ من أكثر المؤثرات في تشكيل أهواء النفوس: طبيعة التكوين الاجتماعي، والرأي السائد، وخيارات الأكثرية؛ فهي توجد ألفة مع هذه الخيارات، ويجد المرء في موافقتها سهولة ويسراً لا يجده إن اضطر إلى المصادمة والخروج عن تلك الخيارات طلباً للحق ونصرة له.

(١٥) بالمساواة يتحقق العدل:

إذا تأملت في واقع أحكام الشريعة وجدها تتشوف في جميع مواردنا إلى تحقيق قيمة العدل دون المساواة، فالعدل هو ما يمثل القيمة المركزية في الإسلام، وهو محل الثناء المطلق.

وحين لا يكون ثمّ موجب معتبر للتفريق فالأصل هو المساواة؛ لأن التفاضل بلا سبب -أو بسبب غير معتبر- ظلم، ومجانف لقاعدة العدل.

وهذا يعني أن قاعدة المساواة واسعة جداً، إذ هي الأصل، فلا يجوز التمييز بلا سبب معتبر.

فالاختلاف الذي يحصل بين أحكام الرجل والمرأة إنما يكون في الأحوال التي يتحقق فيها وجود اختلاف مؤثر بين الجنسين يفرض هذا التفاوت، وأما في حال غياب هذه الأوصاف فالأصل

(٢٢) حيثما كان العدل فثمّ شرع الله:

هي مقولة صحيحة إذا كانت الصورة التي يتحدث عنها هي من العدل الحق الظاهر، فما دام ثمّ عدل ظاهر قطعي بين فلا شك في أن الشريعة قد جاءت به ولا تخالف مثله، وأما إذا جيء بهذه العبارة لنقض بعض أحكام الشريعة بدعوى أنها مخالفة للعدل، فهذه مقولة فاسدة لم تتفطن لإشكالية أن ما يسميه عدلاً هو توهم ظنه عدلاً بسبب تأثره بعوامل أخرى.

(٣٩) ما البديل عن الحرام؟

مع الاعتراف بأهمية توفير البدائل الشرعية للتخفيف من جاذبية كثير من المنكرات، وأن له أثراً حقيقياً ملموساً في ذلك، لكن المسلم لا يجعل من توافرها ميزان التزامه بأوامر الشريعة، فإذا توافرت وقع منه الالتزام، وإن لم تتوافر مضى في ممارسة الحرام، وليتذكر دوماً أنه عبد لله، وأنه في دار ابتلاء واختبار، وأن الله كريم، وأن من كرمه سبحانه أن من ترك شيئاً لله عوضه خيراً منه.

رابعاً: مقولات تطعن في أهل العلم الشرعي:

(١٦) لا كهنوت في الإسلام:

لو أن قائل هذه المقولة اقتصر على ادعاء أنه لا وجود لشريحة معينة من الناس تحتكر وحدها حق تعلم الشريعة ودراسة أحكامها أو الاطلاع على نصوصها المقدسة لكان مصيباً في ذلك.

أما أن نوظف هذه المقولة لإلغاء أهمية العلم نفسه، لنجعل الإسلام كله كلاً مباحاً لكل متحدث بلا علم ولا امتلاك لأدوات الاجتهاد، فهذا عبث ينزه الشرع عنه، ويتنزه عنه ذوو العقول السليمة.

(١٧) يحفظون ولا يفهمون:

اتهام علماء الإسلام بالعناية بمجرد الحفظ دون الفهم هو من جنس الشائعات الفكرية التي يتم تناقلها دون اشتغال حقيقي بعلوم الشريعة أو نظر في مصنفات أهل العلم، ولو حصل هذا النظر لكان كافياً بذاته في بيان وهاء هذه الشبهة، وما تتضمنه من أغاليط.

(٣٧) التوجس من كل جديد:

يقولون لأهل الدين: «أنتم متوجسون من كل جديد»، هذه المقولة تشحن النفوس بحالة سلبية شديدة ضد الخطاب الديني، والعلماء، والفتاوى، والتدين؛ فيترتب على ذلك مخالفات شائعة في التساهل في فعل المحرمات، أو ترك الواجبات، أو الإعراض عن الأحكام الشرعية، وتقبل أي أفكار أو اجتهدات مخالفة للسائد الموجود؛ وكل ذلك من جنس الهوى الذي يجب أن يكون المسلم واعياً به.

٩٩

اتهام علماء الإسلام بالعناية بمجرد الحفاظ دون الفهم هو من جنس الشائعات الفكرية التي يتم تناقلها دون اشتغال حقيقي بعلوم الشريعة أو نظر في مصنفات أهل العلم، ولو حصل هذا النظر لكان كافياً بذاته في بيان وهاء هذه الشبهة، وما تتضمنه من أغاليط

خامساً: مقولات في الحرية الليبرالية:

(١٨) الحرية مقدمة على تطبيق الشريعة:

مقولة الحرية قبل تطبيق الشريعة مبنية على عبارة مغلوطة، فهي تجعل الحرية قبل الشريعة مع كونها تقرر أن الحرية من الشريعة، فكيف تكون خارجة عن الشريعة! ثم إذا دققنا النظر في طبيعة هذه الحرية، وهل هي جزء من الشريعة فعلاً، وجدناهم يقصدون حرية لا تلتزم بضوابط الشريعة، بل تتفق كثيراً مع الحرية الليبرالية، فهي حرية مخالفة للشريعة في حقيقة الأمر، فكيف يستبجح مسلم أن يدعو إلى معارضة الشريعة، بل يجعل هذه المعارضة شرطاً لتطبيق الشريعة؟

اللهم إلا أن يكون المقصود متعلقاً بواقع معين يعجز فيه المسلمون عن تطبيق بعض الشريعة، فيكون تقديمها من باب فقدان شروط القدرة على تطبيقها، وهو بحث أجنبي عما نحن فيه.

(١٩) الإسلام يدعو إلى الحرية:

لا إشكال في الدعوة إلى الحرية، ولا في نسبة هذه الدعوة للإسلام، متى استبان المقصود بالحرية، وأنها لا تمثل خروجاً عن أحكامه وحدوده، بل هي في هذه الحال دعوة مشروعة. وإنما المشكلة هي في توظيف مرجعية أجنبية لرسم حدوده

وإدراك مضامينه ثم الاحتكام إلى مرجعية الإسلام لاستخراج حججه ودلائله. والخلط بين مرجعيتين متباينتين وتحميل إحداها مسؤولية بناء التصور والأخرى بناء الدليل هو تخطب منهجي ظاهر؛ حيث تبني المنحرفون تصور الحرية الليبرالية تحت ضغط هيمنة نموذجها الثقافي، ثم سعوا لقسر الأدلة الشرعية لإنتاجه، فوقعوا في ألوان من التحريف المعاصر للوحي، والواجب السعي لفهم الشريعة بأدلتها كما هي بعيداً عن ضغط أي ثقافة أجنبية عنها.

(٢٠) الإلزام بأحكام الإسلام يُورث النفاق:

مقولة الإلزام يولد النفاق مقولة غير واقعية ولا سديدة، فإن مبدأ الإلزام مبدأ معمول به في كل المجتمعات، ولا يخطر على البال لحظة إعماله مثل هذه الإشكالية، إنما تطرأ الإشكالية فقط متى كان الإلزام لاعتبار ديني، وهو ما يكشف أن المشكلة ليست في قضية الإلزام من حيث هو، وإنما في السبب الموجب له، فإن كان السبب شأنًا دينيًا كان مذموماً ومولداً للنفاق، أما إن كان لاعتبارات أخرى فهو مشروع مطلوب، وتترتب عليه مصالح لا يمكن التنازل عنها!

(٢٨) الفكر لا يواجه إلا بالفكر:

وجدنا حزمة من المقولات: (الفكر لا يواجه إلا بالفكر)، و(الممنوع مرغوب)، و(الفكرة الصحيحة تطرد الخاطئة)، و(التدين في وسط الحرية أقوى) يُستند إليها جميعاً لتمرير رفض أصحابها مبدأ المنع أو الإلزام الذي تأتي به بعض أحكام الشريعة. صحيح أن الحوار والنقاش مع بعض الأفكار مهم وضروري، إلا أن منعها وتحجيم حضورها لكلا تضر الناس مهم أيضاً، وهذه الحقيقة من البدهيات في الوعي الإنساني.

(٢٩) هم يسمحون لنا فلنسمح لهم:

النظام الغربي حين كفل الحريات لم يكفلها من باب المقابلة لأحد، ولم يصغ نظامه مراعيًا فيها أحدًا، إنما انطلق معتمدًا على مرجعيته الفكرية ومصلحته الخاصة، ولو وجد شيئاً من ذلك يضر بمصلحته فإنه سيعيد تشكيل ذلك بناءً عليه، ولن يفكر بتاتاً بطريقة أننا سنعطيه في مقابل ما يعطوننا، إنما هذا التفكير الهزيل ينشأ من ضعف بعض المسلمين حين يريد أن يصوغ نظامه

النفوس لضمور بشاعة الكفر في نفسه، والنصوص صريحة في المنع من الترحم والاستغفار للكفار بسبب موتهم على الكفر.

صاحب مقولة (لست مسؤولاً عما يحدث)
لو أتبعها بقوله: «بعد أن تقوم بالواجب الشرعي في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر» لكان مصيباً في صنيعه، ولكن منبهاً إلى أن هذه السيئة لن تضر إلا صاحبها، أما مع التفريط في أداء واجب الاحتساب فالمضرة ستلحق الجميع: مَنْ عمل السيئة، وَمَنْ ترك الأمر والنهي، بل عموم المجتمع، وعلى كُلِّ مَنْ التبعة بقدر ما ارتكب

سادساً: مقولات في السياسة ونظام الحكم:

(٢٣) الدين طاهر والسياسة قذرة:

الحقيقة أن هذه المقولة إنما وضعت لتحقيق هدف معين هو إقصاء الدين بطريقة مهذبة لا تستفز مشاعر المسلمين، فهي تعطي الدين احتراماً لفظياً، وتظهر شتيمة السياسة، ثم تدعي أن من حفظ الدين إبعاده عن هذه السياسة الذميمة، لنصل من خلال هذه المقدمات إلى إقصاء الدين وتهميشه وتعطيله من الحياة؛ فهذه الطريقة في التفكير أو المجادلة أشبه بتلاعب شخص بصبي صغير لا يفقه شيئاً، ولا تليق أن تكون مؤثرة في عقل إنسان واعٍ.

(٢٦) الشريعة لم تأتِ بنظام سياسي محدد:

هذه الكلمة (نظام سياسي محدد) تتسم بقدر من الإجمال يستدعي أن تعالج بقدر من التفصيل.

فالنظام السياسي المحدد يحتمل أحد معنيين:

المعنى الأول: الجوانب التفصيلية في كيفية إدارة شؤون الدولة، وتوزيع المهام والصلاحيات فهذا -على فرض أنه لم تأت به الشريعة- نرده بأن نقول: السياسة الموافقة للشريعة هي كُلُّ سياسة تحقق مصالح الناس وتدفع عنهم المفساد وإن لم يُنص عليها في الشرع ما دام أنها لم تخالف الشريعة.

المعنى الثاني: أن الشريعة لم تأت بشيء على مستوى القوانين والأحكام التشريعية في الجانب السياسي، وهذا غلط ظاهر.

السياسي والاجتماعي وفقاً لمرآة الثقافة الغربية، فما دام أنهم يفعلون شيئاً فيجب أن نفعل مثله، بدون أي اعتبار لأي أصول أخرى!

(٣٤) بلا وصاية:

هذه المقولة هي من جنس تلك المقولات التي جرى استخدامها وتوظيفها في عصرنا في سياقات كثيرة تعود إلى معنى واحد، وهو: رفض بعض الحق بدعوى أنه يشتمل على نوع وصاية، فالفساد يظهر في بعض استخدامات هذه المقولة وتوظيفاتها.

أما الشريعة فجاءت بشعيرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لإقامة دين الله.

وقد احتوت هذه المقالة تضليلاً من جهتين:

الأولى: التضليل من جهة مفهوم الوصاية: فالوصاية أن تمنع الإنسان من تصرفاته المالية والبدنية بلا حق، وليس منها أن تمنعه من الفعل الضار أو تأمره بالفعل الحسن.

الثانية: تضليل من جهة تسمية الحكم الشرعي بالأسماء المنفرة.

(٣٥) لست مسؤولاً عن الخلق:

صاحب مقولة: (لست مسؤولاً عما يحدث) لو أتبعها بقوله: «بعد أن تقوم بالواجب الشرعي في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر» لكان مصيباً في صنيعه، ولكن منبهاً إلى أن هذه السيئة لن تضر إلا صاحبها، أما مع التفريط في أداء واجب الاحتساب فالمضرة ستلحق الجميع: مَنْ عمل السيئة، وَمَنْ ترك الأمر والنهي، بل عموم المجتمع، وعلى كُلِّ مَنْ التبعة بقدر ما ارتكب.

(٣٦) لا تكن إقصائياً:

هناك حدود سيتبناها الشخص يقيناً، وسيضطر حينها لأن يكون إقصائياً في مجالات معينة، وبه ينكشف أن مشكلة أكثر مَنْ يطالب بعدم ممارسة الإقصاء لمن يعارض محكمات الشريعة هي في ضمور هذه المحكمات في نفسه.

(٣٨) رحمة الله ليست في يد أحد من خلقه:

هذه قضية جدلية تتكرر مع موت أي عَلم مشهور من غير المسلمين، والحق أن مثل هذا الإشكال في الترحم على الكفار إنما وقع في بعض

والتذكير بأهمية الإسلام الوسطي المعتدل، والإسلام براء من هذه الوسطية وذلك الاعتدال.

(٣٣) الدين ليس هشاً حتى يُخاف عليه:

مقولة (الدين ليس بهذه الهشاشة فيخاف عليه) تسعى إلى تهوين شأن الشبهات في نفس المسلم، وتعطيه شعوراً زائفاً بالعلو العلمي، الذي كثيراً ما يتبدد مع لحظة الارتطام بأول شبهة، وإن كانت سهلة تافهة في كثير من الأحيان.

(٤١) الغلو نبذة سلفية:

منشأ الخلل في الربط بين السلفية والغلو يحصل من عدم قدرة القائلين بهذه المقالة على التمييز بين الأصول والأفكار وبين توظيف الغلاة لها. ومن ينسب الغلاة إلى السلفية يمارس الدور نفسه الذي يقوم به من ينسب الغلو إلى الإسلام، ويقع في ذات الخلل العملي والغلط المنهجي، ويتجاوز العدل والإنصاف الذي تجاوزه أولئك.

ليس عندنا تدين طبيعي ولا فطري ولا عادي، بل هو التدين الشرعي الذي يحاكم فيه كل سلوك أو موقف إلى أحكام الشريعة وقواعدها وأصولها، ويعرف من خلالها حكم كل واقعة. وما يسمى بالتدين الطبيعي ما هو في الحقيقة عند غالب الناس إلا ما اعتادوه وألفوه، وقد يكون تديناً حقيقياً، وقد يكون من الأعراف الفاسدة التي ألفوها.

ختاماً:

إنَّ خطورة هذه المقولات لا تكمن في سهولة انتشارها فحسب، بل في قدرتها على إضعاف اليقين وزعزعة المرجعية الشرعية في نفوس الناس؛ ومن هنا تأتي أهمية كتاب زخرف القول؛ فهو يمدُّ القارئ بالأدوات النقدية التي تفكك سطوة هذه المقولات وتعيدها إلى محكمات الوحي، وكلما أحسن المسلم وعي هذه المغالطات وكشف بريقها المزيّف كان أقدر على حفظ دينه وبناء وعيه على أسس راسخة لا تهزّها الشعارات ولا تجرفها موجات الفكر العابر.

(٢٧) العَلَمَانِيَّة هي الحل:

في الحقيقة: العلمانية ليست حلاً لشيء، بل هي استنساخ بليد لمشكلة ثقافية في التاريخ الغربي، ولطبيعة علاقاتهم مع دينهم المحرف، جرى نقلها بكسل فكري إلى عالمنا الإسلامي، لتفسد تصورات الناس بلا ثمرة حقيقية في حفظ حقوق الناس، ولا تطبيق العدل بينهم، بل هي في الحقيقة أكبر عائق أمام أي دعوة حقيقية للعدل والحقوق.

(٣٠) التدين الطبيعي:

من المقولات المتداولة على الألسنة وصف تدين ما بالطبيعي أو الفطري أو العادي، فكثيراً ما يأتي في بيان تصحيح فعل ما، أو التأكيد على صوابه، أو ذم سلوك معين وبيان فساده.

نحن ليس عندنا تدين طبيعي ولا فطري ولا عادي، بل هو التدين الشرعي الذي يحاكم فيه كل سلوك أو موقف إلى أحكام الشريعة وقواعدها وأصولها، ويعرف من خلالها حكم كل واقعة، وما يسمى بالتدين الطبيعي ما هو في الحقيقة عند غالب الناس إلا ما اعتادوه وألفوه، وقد يكون تديناً حقيقياً، وقد يكون من الأعراف الفاسدة التي ألفوها.

(٣١) الدين متعايش:

التعايش في الاستعمال المعاصر مصطلح مجمل، تمرر من خلاله مفاهيم عدة متأثرة بحمولة فكرية تتصادم مع بعض الأحكام الشرعية، وليس في كتاب زخرف القول هذا دعوة إلى إهدار ما في التعايش من مضامين صحيحة ومعان معتبرة، وإنما ضرورة التفطن إلى ما تتضمنه من إشكالات لئلا تتسرب من خلال هذه المعاني الصحيحة.

(٣٢) الإسلام الوسطي المعتدل:

قد لا يتفطن المسلم إلى أن بعض هذه الدعاوى تسعى لأن تقيد الإسلام بالاعتدال الذي تريده، فلااعتدال عندها وصف خارجي، وقناعات مسبقة متأثرة بمرجعيات مختلفة، تسلط على الإسلام ليصاغ منه ما يسمونه بعد ذلك إسلاماً وسطياً معتدلاً.

فصاحب المرجعية الليبرالية مثلاً يضع تصورات في الحرية التي لا تعتد بأي محظورات دينية، وتبيح العلاقات المحرمة، وينسب قناعاته المتشكلة في ضوء هذه المرجعية إلى الإسلام، ويأخذ في الوعظ



وَتَعَاوَنُوا

د.خير الله طالب

بعد التفكير يأتي (الحوار الجالب للتوافق) حينما يضيء كل متحدث لصاحبه إضاءة تساعداهما على اكتمال الصورة، وصولاً إلى الاتفاق على أهداف تعالج مشكلات عامة وتلبي احتياجات مشتركة، مع كل أحد بحسبه.

ثم نبلغ المرحلة الرابعة المتمثلة في (التخصص المحقق للتكامل)، حينما تنتقل من (دوائر التزاحم والتكرار والترهل والتنافس والتضارب والتقاتل) إلى (دوائر التخصص ضمن الواجبات والاحتياجات)، فتسد الثغور، وترتسم مصفوفة التكامل، ويتأهل المجتمع لقيادة نفسه بنفسه حين يستقر الميزان، ويعترف الجميع للجميع بحسناتهم وإنجازاتهم، رغم اختلافاتهم وتنوع مدارسهم وجماعاتهم.

(رباعية بناء الثقة) تمثل محفظة مشاريع وبنك أهداف لمؤسسات تخصصية مبتكرة عديدة، لا يبصرها إلا من يفقه التعاون بصورته الكاملة، فيرى من بعيد صورة الإنجازات التاريخية القادمة التي يحسبها الغافلون ضرباً من الخيال، أو خرقاً للعادات، أو خطة محكمة للأعداء!

لكن بناء الثقة يبدأ بضبط المشاعر بالوحي الطاهر.

وهكذا تأتي الآية الكريمة الآمرة بالتعاون على البر والتقوى في سياق حرمة التحامل على الخصوم، ومنع العصبية على الخطأ، ونكارة التضافر على الظلم انتقاماً من الخصوم: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَا نُ قَوْمٍ أَنْ صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَنْ تَعْتَدُوا وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [المائدة: ٢]. فهي دعوة إلى لزوم إنصاف الأعداء مهما فعلوا، ومتع ظلمهم مهما أبغضناهم؛ لأجل أن يستقيم ميزان العدل فيما بيننا، وتنشأ نفسية (المعاونة) محل (نفسية المناكفة).

يذكرنا أسطول الصمود بقصة النفر الساعين في نقض الصحيفة التي وثق فيها أهل مكة تعاهدهم على حصار النبي ﷺ مع صاحبه وآله في شعب أبي طالب، وكيف أن تعاونهم بدأ بحديث أحدهم مع صاحبه، ثم طلبوا ثالثاً ورابعاً وخامساً، وأحكموا خطتهم فنفذوا مشروعهم، وانفك الحصار الجائر الذي دام ثلاث سنين.

قديماً شكى عمر رضي الله عنه إلى الله تعالى (جَلَدَ الفاجر وعجز الثقة)، ومؤخراً أضاف إليها أحد الحكماء: (وانفراد الذكي) الذي قد يحجبه غروره أو حسن ظنه بعقلة عن الشعور بالنقص البشري والتكامل الجماعي؛ فيزهد في الشركاء.

تطلعات الشعوب الناهضة والبلدان المتحررة اليوم تفرض (واجبات كفائية) يعجز عنها الفرد مهما تألق، بل تنكسر دونها المجموعات والجماعات الضيقة مهما كبرت، وليس لها إلا الانفتاح المُنصف الجالب للخبرات المحفز للطاقت؛ حتى تكون كالجسد الواحد في التواد والتراحم والتعاطف والتعاون.

ومع تشظيات المجتمع المسلم وانقساماته المذهبية والعرقية والجغرافية، وما تورثه من انكفاء منغلق وتناكف مدمر وترهل ضارب، فإن بداية التعاون الحقيقي تتمثل في (مشروع بناء الثقة) العامل على تكسير جذر الانغلاق، وتحطيم أسوار القطيعة، وتبريد الأرض، وتهبئة البيئة، مروراً بأربع مراحل تنقلنا من الانكسار إلى الانتصار بإذن العزيز الجبار.

تبدأ المرحلة الأولى: في (التعارف الجالب للتألف)، كما يشير إليه أحد معاني حديث: (الأرواح جنود مجندة، ما تعارف منها ائتلف، وما تناكر منها اختلف). والله تعالى جعلنا شعوباً وقيائل لا لنتفاخر، وإنما لنتعارف؛ لأنه لو استقل كل أحد بنفسه لم يحصل بذلك التعارف الذي يترتب عليه التعاون والتناصر والتكامل.

يتضمن التعارف الجيد ويتطلب مرحلة (الإصغاء المثمر للتفاكر)، حينما يستمع الشخص لحدثه يتفكر في حديثه ومعلوماته وأفكاره، ويعتبر على مشاعره ودوافعه، ويتأكد من دقة فهمه لكلامه، ويتأمل في استفادته منه وشكره عليه، قبل اشتغاله بالنقد والرد، فضلاً عن الجدل والاتهام المدمر للثقة.



ترحب مجلة رَوَاء بمقالاتكم العلمية والفكرية
ضمن المحاور الأساسية للمجلة



ويشترط ألا يزيد حجم المادة المرسلة عن ٣٠٠٠ كلمة، وأن تكون المادة مكتوبة أصالة للمجلة
وغير منشورة من قبل، وأن تراعى فيها سياسات النشر في المجلة

كما ترحب المجلة بخواطركم القصيرة ضمن زاوية (بأقلام القراء)

ترسل المقالات والمواد إلى البريد الإلكتروني:
rawaa@islamicsham.org



rawaamagazine

www.rawaamagazine.com